التلاؤم بين الإحسان وجزائه الأخروي في القرآن الكريم ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام

الدكتور

عبد الهادي أحمد سيد عبد العال

المدرس في قسم البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

المقـــدمة

فهذه دراسة بلاغية موضوعها (التلاؤم بين الإحسان وجزائه الأخروي في القرآن الكريم ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام) تقوم ببيان وعرض جزاء الإحسان في الآخـــرة ــ علـــى تنوعه إجمالا وتفصيلا وقوة وضعفا ــ وطريقة نظم التعبير عن المثاب فيه ، ومدى ملاءمة ذلك للسياق...

ومن ثم فهي تهدف إلى الوقوف على أسباب اختلاف طريقة التعبير عن ثواب الإحســـان في آية عنه في أخرى ، وتدرجه من القوي إلى الأقوى ثم الأكثر قوة...وهكذا،تبعا لاخـــتلاف طريقة التعبير عن الإحسان في جانب المثاب (فعلا كان ــ كما في "للذين أحسنوا"،أو قيـــدا ــ كما في " جاء بالحسنة"،أو وصفا ــ كما في " المحسنين أو المحسنات")؛ لما يعكسه البنـــاء التركيبي من أثر في نوع الثواب وطريقة التعبير عنه ؛ لأن لكلّ نظم دقيـــق معنـــى دقيقـــا ، ولكل نظم أدق معنى أدق = وتبعا لاختلاف السياق الذي وردت فيه ؛ لما له من دور لا يخفى في طريقة التعبير عن كل من المثاب والثواب ؛ إذ هو المرجع الرئيس في اخـــتلاف التعبيـــر في آية عنه في أخرى بعد المقصد من الكلام...،وإلا ما كان الاختلاف في أسلوب التعبير عن الثواب مع اختلاف السياقات للآيات التي تتماثل فيها طريقة التعبير عن الإحسان إن لم يكـــن للسياق العام دوره في ذلك ... ومن هنا ركّزت هذه الدراسة على شيئين :

طريقة نظم التعبير عن الإحسان والربط بينها وبين الثواب .. السياق العـــام ودوره فـــي اصطفاء نظم خاص في التعبير عن الإحسان في جانب المثاب، وأثر ذلك في قـــوة الثـــواب ، حيث إن ثواب الآخرة يأتي قويا في مواضع ، وأقوى في أخرى ، وأكثر وأعظم قـــوة فـــي غيرهما..

ومن هنا كان لهذه الدراسة أهميتها في الوقوف على جانب من جوانـــب بلاغـــة القـــرآن الكريم وإعجازه ، حيث يأتي فيه التعبير عن المعنى الخاص بطريقة خاصة ، وعـــن المعنـــى الأخص بطريقة أخص منها .. وهكذا ، وهذا ما نجده من خلال البحث فـــي ثـــواب الآخـــرة المرتبط بالإحسان ، حيث جاء التعبير عن ثوابه بطرق مختلفة تبعا لاختلاف الســـياق العـــام وطريقة نظم التعبير عن المحسنين والغرض الذي ذكر فيه هذا الثواب ...

وهذه البلاغة التي بلغت المنتهى،وهذا الإعجاز الذي بلغ الغاية هو ما دفعني إلى هذه الدراسة،لعلي أقف على قطرة من بحر بلاغة الإعجاز القرآني..وأؤدي بعض ما عليّ تجاه هذا الدين العظيم، وكتابه،ورسوله ..

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس فنية .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وطريقة السير فيه .

وأما التمهيد فذكرت فيه معنى الإحسان ومنزلته من الدين ، وطريقة التعبير عنه في القرآن الكريم .

المبحث الأول:التلاؤم بين الإحسان(فعلا) وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام.

المبحث الثاني:التلاؤم بين الإحسان(قيدا) وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام .

المبحث الثالث:التلاؤم بين الإحسان(وصفا) وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام.

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم نتائج البحث، ثم ذيلت البحث بفهرس لأهم المصادر والمراجع التي أفدت منها فيه .

وأخيرا أدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، سائلا إياه سبحانه التجاوز عن الزّلّة بحسن النية، راجيا من أساتذتي الأجلاء وأهل العلم ممن قد يطالعون هذه الدراسة أن يلتمسوا لي العذر إن بدا تقصير، وحسبي ثواب المحاولة .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... وصلى الله ــ تبارك وتعالى ــ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم ...

الباحث

تمهيـــــــد

معنى الإحسان :

المادة تدور في اللغة حول الجمال والإجادة والإتقان، فالحاء والسين والنون: كلمةٌ واحدة تدلُّ على إجادة الشيء وإتقانه وتجميله وتزيينه ، تقول : أحسن الشيءَ : أجاد صنعه ،وأتقنه ،وحسّنه : زيّنه ورقّاه وأحسن حالته ، وتحسّن: تجمّل وتزيّن[١] ، والحُسن بالضم:الجمال[٢]وكل مبهج مرغوب فيه[٣]،وبالفتح :نعت لما حسن ، وهو ضد القبح ونقيضه[٤]،والحسنة يُعبّر بها عن كل ما يَسُرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله[٥]،والإحسان : فعل ما ينبغي أن يُفعل من الخير[٦] ...

أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاته، وأشهرها ما عرّفه به سيد الخلق -ﷺ- في إجابته على سؤال جبريل ــ عليه السلام ــ ما الإسلام ؟...، ما الإيمان ؟...، ما الإحسان ؟ فقال -ﷺ-:(...أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...[٧]) ، وهو ما قال به كثيرون [١] من بعده .

---

(١) ينظر المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (ح س ن) تح/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية ، المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار(ح س ن) تح / مجمع اللغة العربية ــ دار الدعوة .

(٢) ينظر القاموس المحيط للفيروزابادي ــ مؤسسة الرسالة بيروت من دون ،تاج العروس للزبيدي تح /مجموعة من المحققين ــ دار الهداية من دون (ح س ن)..

(٣) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبد الرؤوف المناوي ٢٧٩تح / د محمد رضوان الداية مط دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٤١٠هـ .

(٤) ينظر مختار الصحاح للرازي تح / محمود خاطر مط لبنان ــ بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م ، تاج العروس ، تهذيب اللغة للأزهري تح/ محمد عوض مرعب مط دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى٢٠٠١م، اللسان لابن منظور دار صادر بيروت ط الأولى من دون ، المحيط في اللغة لأحمد بن إدريس الطلقاني تح / الشيخ محمود حسن آل ياسين ، مط عالم الكتب بيروت ــ لبنان ط الأولى ١٤١٤هـ _ ١٩٩٤م (ح س ن)..

(٥) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب ١١٨/١تح/ محمد سيد كيلاني مط دار المعرفة لبنان من دون ..

(٦) ينظر دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لعبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري٣٨/١ تح / حسن هاني فحص مط دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ط الأولى ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م .

(٧) والحديث في مصنف ابن أبي شيبة١٥٧/٦تح /كمال يوسف الحوت مكتبة الرشيد الرياض ط الأولى ١٤٠٩هـ ،مسند الإمام أحمد ٤٢٦/٢ مؤسسة قرطبة مصر من دون ، صحيح البخاري ٢٧/١باب سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة٣٦حديث رقم ٥٠ ، ١٧٩٣/٤ باب أن الله عنده علم الساعة ٦٩رقم ٤٤٩٩ تح / د مصطفى ديب

وعرفه الحرّالي بأنه البلوغ إلى الغاية في حسن العمل ثم شرحه بقوله : فيكون مع الخلق رؤية المرء نفسه في غيره فيوصل له من البر ما يجب أن يفعل معه ، ورؤية العبد ربه في عبادته ، فالإحسان فيما بين العبد وربه أن يغيب عن نفسه ويرى ربه ، وفيما بين العبد وغيره أن يغيب عن غيره ويرى نفسه ... وذلك بلوغ في الطرفين إلى غاية الحسن في العمل بمنزلة الحسن في الصورة [٢]

وعرفه في موضع آخر بأنه : إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن ، يكمله إحسان شهودي[٣].

وعرفه بعضهم بأنه : أن يعبد الإنسان ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه وقت عبادته [٤].

وعرفه الرازي بأنه المبالغة في الطاعات بحسب الكمية والكيفية [٥]، **وعرفه أبو السعود بأنه الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم حسنها الذاتي**[٦] ، **وقيل: هو أن يعبد الإنسان ربه بما شرع لا بالأهواء والبدع** [٧]..

البغا مط دار ابن كثير اليمامة بيروت ط الثالثة ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م ، صحيح مسلم ٣٩/١، ٤٠تح محمد فؤاد عبد الباقي مط دار إحياء التراث العربي بيروت من دون ، سنن ابن ماجة ٢٤/١تح / محمد فؤاد عبد الباقي مط دار الفكر بيروت من دون ، مسند البزار ٤١٩/٩، ٤٢٠تح/د محفوظ الرحمن زين الله مط مؤسسة علوم القرآن بيروت ، والمدينة ط الأولى ١٩٠٤هـ ، السنن الكبرى للنسائي ٥٢٨/٦تح/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن مط دار الكتب العلمية بيروت ط الولى ١٤١١هـ _ ١٩٩١م ، صحيح ابن خزيمة ٥/٤تح/د مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠هـ _ ١٩٧٠م ، صحيح ابن حبان ٣٧٥/١ تح/ شعيب الأرنؤوط مط مؤسسة النشر بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ _ ١٩٩٣م ، المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم الأصبهاني ١٠٠/١، ١٠٣تح /محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي مط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م ، عمدة القاري٢٨٢/١،٢٨٣، ١١٢/١٩ دار إحياء التراث العربي بيروت من دون..

(١) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف ٤١/١، التعريفات للقاضي الجرجاني ٢٧تح / إبراهيم الأبياري مط دار الكتاب العربي بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ ، الإسلام أصوله ومبادئه محمد عبدالله صالح السحيم٢٠٢الناشر وزارة الشئون الإسلامية السعودية ١٤٢١هـ ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا لسعدى حبيب ٨٩/١مط دار الفكر دمشق سورية ط الثانية ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ٢٢٤،٢٢٥تصدير أ.د محمد بن شريفة عضو أكاديمية المملكة المغربية ، تح/ محمادي عبد السلام الخياطي أستاذ بكلية أصول الدين تطوان .

(٣) السابق ٤٠٩.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي٣٥دار المعرفة بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ .

(٥) ينظر التفسير الكبير ٨٣/٢ دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .

(٦) الإرشاد (تفسير أبي السعود) ٨٨/٢، ١٦٨،١٥٣/٥دار إحياء التراث العربي من دون .

(٧) الإتحاف في الرد على الصحاف لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل شيخ ٢٢/١دار العاصمة ط الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

إلى غير ذلك من تعريفات الإحسان التي تدل على أنه الأعلى في كمال العبودية لله ؛ إذ يجمع بين الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله ، وكمال الإخلاص فيه له سبحانه [١].. عن طريق مراقبته تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه في جميع الأحوال ، وتحت كل الظروف ، وقد أوضحت السنة النبوية أن الإحسان كالروح يجب أن يسرى في كل أمور المسلم ، قال النبي-ﷺ-: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء[٢]..).

والإحسان في العبادات : يكون باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها مع استغراق المؤمن في شعور قوى بأن الله عز وجل مراقبه حتى لكأنه يراه ــ كما جاء في حديث جبريل ــ

وفي العمل يكون بإجادته ، وإتقان صنعته ، مع البعد عن التزوير والغش.

وفي المعاملات يتنوع الإحسان تبعا لأحوال الآخرين : فهو للأقربين ببرهم والرحمة بهم والعطف عليهم مع الأقوال والأفعال الطيبة ، ولليتامى: بصيانة حقوقهم ، وتأديبهم ، وتربيتهم ، وعدم قهرهم ، وللمساكين : بسد جوعتهم ، وستر عورتهم ، والحث على إطعامهم ، وإبعاد الأذى والسوء عنهم، ولأبناء السبيل: بقضاء حاجتهم ،وسد خلّتهم ، وصيانة كرامتهم وبإرشادهم وهدايتهم ، ولعامة الناس: بالتلطف فى القول، والمجاملة في المعاملة ، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد حقوقهم،وكف الأذى عنهم .

وللحيوان: بإطعامه إذا جاع ، ومداواته إذا مرض ، والرفق به في العمل ، وإراحته من التعب،فالمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال[٣] .

منزلة الإحسان من الدين

يقوم الإسلام على ثلاثة أمور ، هي : الإسلام والإيمان والإحسان، فالإحسان : جزء من عقيدة المسلم، كما دل عليه حديث جبريل ــ وهو متفق عليه ــ فقد سأل جبريل ـــ عليه

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٢٢/٧تح/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي مكتبة ابن تيمية ط الثانية من دون .

(٢) صحيح مسلم ١٥٤٨/٣باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة رقم ٣حديث رقم ١٩٥٥،سنن ابن ماجه ١٠٥٨/٢باب ٣ حديث٣١٧٠، السنن الكبرى للنسائي ٦٢/٣ باب٣حديث ٤٤٩٤..

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء٣٤٦/١ الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ط الأولى ١٤٢١هـ ،مفاهيم إسلامية ٥/١ وما بعدها .

السلام ــ عن هذه الثلاثة، فأجابه ثم قال رسول الله -ﷺ- (هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم) فسمّى الثلاثه دينا ، لكنه أجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية ، وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وعن الإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية ، مما يشهد أنه إذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص ، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية ، ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين ، وإذا انفرد الإسلام دخل فيه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام ، وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان [١]....

وذكر ابن تيمية أن الحديث يقتضي أن الإحسان هو الأعلى ؛ لأنه يتضمن الإيمان ، والإيمان يتضمن الإسلام[٢]..، وذكر الإمام الرازي أنه أعلى درجات العبادة [٣] ، وقال أبو حيّان : " الإحسان أعلى رتب المؤمنين[٤]." ؛ وذلك لأنه يتضمن معنى القوة في الطاعة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها ، إذ يستحضر المحسن في طاعته قرب ربه ومراقبته وأنه بين يديه ، فإن شق عليه ذلك فليستعن على تحقيقه بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته ، ولا يخفى عليه شيء من أمره ، مما يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويؤدي إلى حسن العبادة وتمامها ، فضلا عن الإخلاص فيها...

ولهذا ذكر الكفوي أنه فوق العدل ؛ لأن العدل هو أن يعطي ما عليه و يأخذ ما له ، أما الإحسان فهو أن يعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له ، ومن ثم عقّب على ذلك بأن

---

(١) السابق ٣٤٧/١.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى ١/ ٣٦٠.

(٣) ينظر التفسير الكبير ١٤٣/٥.

(٤) البحر المحيط ١١٥/٥ تح/عادل أحمد عبد الموجود وآخرين دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى١٤٢٢هـ ــ٢٠٠١م .

تحري العدل واجب وتحرّي الإحسان ندب وتطوع ، وجعله علّة لتعظيم الله ــ تعالى ــ ثواب أهل الإحسان [١]..

طريقة تعبير القرآن عن الإحسان :

مما سبق يتبين أن الإحسان في التعبير عن المثاب فيه قوة أكثر من غيره ، ومن ثم إذا جاء وصف المثاب في القرآن بالإحسان ــ سواء كان وصفه بأنه من (الذين أحسنوا، أو جاءوا بالحسنة ، أو المحسنين) فإن ذلك ينعكس على طريقة نظم التعبير عن الثواب ، فيأتي فيه قوة أكثر، وزيادة أبلغ ؛ ليتحقق فيه معنى الإحسان ، ويتلاءم مع طريقة نظم التعبير عن المثاب ، فضلا عن السياق ..

والمتأمل في ورود الإحسان المُجازَى أخرويا في القرآن يلحظ أنه جاء على إحدى ثلاث طرق :

أولها : التعبير عنه بصيغة الفعل (الذين أحسنوا ــ من أحسن) وهي ــ على عظمتها وقوتها ــ أقلها دلالة على إحسانهم؛إذ تدل على أن إحسانهم ما زال فعلا من أفعالهم ، ولما يصر بعد صفة فيهم،وأنهم لا يثبتون على حال إحسانهم ، ولكن تارة وتارة ؛ لأن الفعل يقتضي المزاولة وتجدد الصفة في الوقت..

ثانيها:مجيئه قيدا(جاء بالحسنة ، اتبعوهم بإحسان ، يدرؤون بالحسنة السيئة ، يقترف حسنة)، وهي أقوى من سابقتها ؛ لأن طريقة نظم الكلام وبنائه على القيود تعطي أحداثه الواردة فيه خصوصية ، وتضفي عليها نية وقصدا وتعملا ، وتشير إلى أن فيه موافاة وجهدا ، ومن ثم فهي أقوى من التعبير بصيغة الفعل ؛ لأن قولك : فعل يدل على مجرد إثبات معنى الفعل للفاعل وحدوثه منه على العموم والجملة[٢] .

بخلاف قولك : جاء بالفعل فإن فيه دلالة على أن ثمة مشقة ومكابدة ومجاهدة تجشمها في فعله فضلا عن نية وقصد وموافاة فيه...ومن ثم جاء الجزاء معها أكثر قوة ــ مضاعفا ، أو مفصلا حسب سياق كل ــ كما سيتضح بمشيئة الله وعونه في ثنايا الدراسة ..

---

(١) ينظر الكليات لأبي البقاء الكفوي ١٠١٥تح/ عدنان درويش ، ومحمد المصري ــ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م ، تاج العروس (ح س ن) ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ٨٩/١ ، الإسلام أصوله ومبادئه ٢٠٢..

(٢) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / السيد أحمد الهاشمي ص١٤١ضبط وتدقيق وتوثيق د / يوسف الصميلي المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ط الأولى ١٩٩٩م.

ثالثها : التعبير عنه بالوصف (المحسنين ، أو المحسنات) وهي أقواها ؛ لما في دلالة الوصف من ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا، ولا ريب أن ما كان ثابتا مستقرا في مقام الطاعة أدل على المعنى مما كان غير مستقر ، فالمحسنون هم الذين صار الإحسان وصفا ثابتا في قلوبهم ، المؤمنون الموحدون المتبرئون من الحول والقوة ، المتحققون من مُضاء أقدار الله بما شاء لا بما يشاءون ، ومن ثم فإحسانهم ثابت ، ولذلك كان إحسانهم أقوى وثوابهم أقوى ، إلا إذا كان في السياق معنى دقيق يتطلب التعبير عن المثاب بصيغة أقوى ومجيء الثواب بصيغة أقل ــ كما سيتضح إن شاء الله ــ تعالى ــ في ثنايا الدراسة...

المبحث الأول:التلاؤم بين الإحسان"فعلا " وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام .

استقراء المواضع التي جاء فيها الإحسان (فعلا) :

١- قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ آل عمران١٧٢-,١٧٤

٢- قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾يونس٢٦.

٣- قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾النحل٣٠-٣١.

٤- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾الكهف ٣٠-٣١

٥- قولـــه تعـــالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾النجم ٣١.

هذه الآيات جميعها جاء التعبير فيها عن الإحسان بصيغة الفعل الماضي المسند إلى اسم الموصول، وأول ما يلحظ فيها اطراد التعبير عنه بصيغة الجمع "ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ"،ولم يند عن ذلك سوى موضع الكهف، إذ جاء بصيغة الإفراد ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ ..

ومرجع ذلك ومرده إلى السياق عامه وخاصّه ، فهو الذي استدعى هذا الإفراد وتطلبه..؛ وبيان ذلك أن مبنى السياق العام لسورة الكهف قائم على حالة الضيق والأسف الشديد مـــن النبي -ﷺ- حزنا على تنكّر قومه لدعوته ، وإصرارهم الشديد علـــى الكفـــر﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ٦

حيث وُصفت حالته بالبخع : من بخع نفسه يبخعها بخعا وبخوعا : إذا قتلهـــا غيظـــا أو غما... وبخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها...هذا أصله، ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغـــة... [1] مما يدل على حالته -ﷺ- ويبين أنها قد بلغت غاية الأسى والأسف والحزن والألـــم لمـــا بالغ في دعوتهم وكلف نفسه فوق طاقتها في سبيل هدايتهم ، فلم يُجد ذلك فيهم ، وأصـــروا على كفرهم وعنادهم ، فشق عليه ذلك ...

ومن ثم جاء السياق – في مقابل ذلك – بما يحمل التيسير عليه - ﷺ - في أمر الدعوة وتسليته ، وتصبيره ، وبدا ذلك واضحا في كل أجزاء السياق..

---

(١) ينظر اللسان (ب خ ع) ط دار المعارف.

إذ تجده بدءا في مطلعها حينما استهلت بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾،وفي ذلك التلطف والحنو والتكريم والتشريف في التعبير عنه بالعبودية وإضافته إليه في قوله: ﴿ عَبْدِهِ ﴾..

كما تجده في إسناد الإنذار والتبشير إلى الكتاب ، والإتيان بهما على صيغة المضارع من دون الأمر، فلم يُقل:أنذر وبشر، وإنما قيل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾١،٢ وفي هذا ما فيه من التيسير عليه في أمر الدعوة تلاؤما مع حالته ، فلم يؤمر بالإنذار والتبشير مباشرة كما في غير هذا السياق..

كما تجد هذا التيسير يتتابع في السياق من خلال تأكيد زوال الدنيا تقليلا من شأنها ودعوة إلى الزهد عنها في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ ٨..

كما تجده في ذكر قصة أصحاب الكهف بما تحمله من معاني التسلية والتصبير والتيسير عليه – ﷺ – عن طريق بيان حالهم وما وصلوا إليه من كرب شديد... فقد قوبلوا بالتكذيب الكلي من قومهم ، ففروا إلى ربهم فكانت لهم النجاة وفي ذلك دعوة له – ﷺ –أن يلجأ إلى ربه تأسيا بهم ، ويسلم الأمر إليه في إيمانهم ، ولا يحزن على تعنتهم وإصرارهم ....

كما تجده في أمره صراحة بالصبر في قوله:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ ٢٨، والمبالغة في التزام طائفة المؤمنين ، والاكتفاء بهم ، وعدم الاهتمام بغيرهم من المعرضين في:﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ ، وفي ذلك من التسلية ما فيه ، فضلا عن التيسير ؛ إذ لم يؤمر بتكرار دعوة المعارضين مما قد يشي بتقصيره ، أو عدم اجتهاده في أمر الدعوة وتبليغها...

كما تجده في السياق الخاص في إسناد الإيمان والكفر إلى مشيئة الشخص ، وتبرئته – ﷺ – من تبعة ذلك في قوله : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

فَلْيَكْفُرْ ﴾ ٢٩ الذي يؤكد أن مهمة الرسول هي البلاغ فقط ، وأنه لا دخل له في الإيمان والكفر ...

كما تجده في اصطفاء صيغة الإفراد في : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الدالة على تفرد الأعمال والتي تؤكد أن منبع العمل هي ذات فاعله وهذا ما يتلاقى مع سياق التسلية والتيسير على النبي - ﷺ- ودعوته إلى التزام طائفة المؤمنين ، وعدم الاهتمام بإصرار الكافرين ، أو عدم تكليف نفسه المشقة بسبب كفرهم ؛ لأن مرجع ذلك إليهم أنفسهم لا إليه،ولا إلى تقصير في دعوته... ومن ثم كان الأنسب هنا التعبير عن إحسان المثاب بصيغة لإفراد التي تدل على خصوصية الأعمال وتفرد كل شخص بعمله وجزائه، وتؤكد أن العمل الصالح يختلف من شخص لآخر، وأن مجي الإحسان من شخص واحد لا ينقص قيمته ، ولا يمنعه ثوابه ؛ لأن المعتبر في ذلك الشخص ذاته دون النظر إلى الجماعة : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا ﴾ ، وهذا ما لا تؤديه صيغة الجمع ، وفي هذا ما فيه من دلالة على التيسير ودعوة إلى الصبر وتسرية عما في النفس تتلاقى مع السياق النابض بمعاني التيسير والتسلية والتصبير ، المبني على تأكيد خصوصية الأعمال وتفرد كل بعمله وجزائه...، وهذا ما لا تجده في المواضع الأخرى ، ومن ثم جاء التعبير فيها جميعها بصيغة الجمع تلاقيا مع سياق كل آية..

فتجد الجمع في آية آل عمران : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ ﴾،﴿ لِلَّذِين أَحْسَنُواْ ﴾ ، ﴿ وَٱتَّقَوْا ﴾ يتلاقى مع سياق الحث على الجهاد الذي يلزم فيه التجمع والاتحاد ، ويذم فيه التفرق والانفراد ، كما يتناسب مع مدح صحابة رسول الله -ﷺ - جميعا ، والتعبير عن استجابة المجاهدين لله ورسوله ، وإحسانهم وتقواهم ، وهذا هو المعنى الدقيق المراد هنا ، والذي لا يؤديه التعبير بالإفراد...

أما آية يونس فإن التعبير عن المثاب فيها بصيغة الجمع ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يتلاقى مع سياق عموم الدعوة إلى الإيمان المؤدي إلى الجنة في قوله- قبلها- : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٢٥

إذ تجد في حذف مفعول (يدعو) دلالة على معنى عموم الدعوة وشمولها جميع الخلق ، وعدم اختصاصها بأحد دون أحد[1]، حرصا على دعوة وإيمان الناس كافة ، وهذا ما يؤكده التعبير بصيغة المضارع الدال على تجدد الدعوة وتكرارها واستمرارها...، فضلا عما في التصريح بلفظ الجلالة الأعظم (الله) وإسناد الدعوة إليه – سبحانه – من الدلالة على عظيم الاهتمام بتلك الدعوة ، ومزيد الحرص على الإيمان...

كما تجد ذلك العموم والحرص على الإيمان في إيقاع الهداية على اسم الموصول (من يشاء) في قوله : ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ دون تحديد مجموعة كالمؤمنين ، أو قبيلة كقريش ، أو أمة كالعرب مثلا ؛ ليشمل المؤمن والكافر والعاصي ...العربي وغيره ...إلخ ؛ لأن كل مخلوق داخل في مشيئته تعالى ، وفي ذلك ما فيه من مزيد الحرص على إيمانهم وعظيم الاهتمام بهدايتهم...

ومن ثم كان الأنسب بسياق عموم الدعوة إلى دار السلام ومزيد الحرص على إيمان الخلق وهدايتهم التعبير عن الإحسان بصيغة الجمع ، ﴿ لِلَّذِين أَحْسَنُواْ ﴾ لما فيها من الدلالة على الكثرة التي تتلاقى مع عموم الدعوة إلى الجنة ، والتي تؤكد معنى الحرص على إيمان كثير من الخلق وإثابتهم ، بل تنمي ذلك الحرص وتزيده ببيان أنه ليس مجرد حرص على الإيمان ، إنما الغرض الترقي إلى درجة الإحسان... وهذا ما لا يؤديه التعبير بالإفراد...

ولك أن تلحظ الفرق بين سياقي الكهف ويونس : فسياق الكهف أنه تعالى أنزل الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، أما سياق يونس فهو أنه تعالى يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم...

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١١/ ١٤٥ ، الدار التونسية ١٩٨٤م .

أما آية النجم فهي واردة في سياق رد اعتقاد مشاركة غير الله – تعالى – له في خلقه والسخرية من هذه الاعتقادات الباطلة [١] ، وإثبات أن الكون كله بما فيه ومن فيه له وحده سبحانه [٢] ، وهذا ما انعكس بشكل واضح على طريقة التعبير عن المجازى – محسنا أو مسيئا – فجاء على صيغة الجمع ﴿ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ﴾ ، و ﴿ٱلَّذِين أَحۡسَنُواْ ﴾ ؛ للدلالة على كمال إحاطته تعالى بجميع خلقه ، وأن جزاءه يشملهم جميعا بلا استثناء ، وهذا ما حققه جمع المجازى وتلاءم معه...

= كما يلحظ فيها اختلاف التعبير عن الثواب من حيث البناء التركيبي وما يحمله من معان قادرة على إبراز قوة الإحسان في هذا الثواب ، أو كونه أقوى تبعا لاختلاف مساقات كل موضع...

إذ تجد أن موضع آل عمران هو الأكثر قوة في معنى الإحسان في التعبير عن الثواب ... وهذا ما يحمله البناء التركيبي لجملة الثواب فيها ، وما يعجّ به من معاني الإحسان التي تطلّبها سياق الحث والحض على الجهاد ، التي وردت فيه...إذ جاءت بعد قوله – سبحانه – ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ ١٦٨-١٧٠.

قال الإمام جار الله الزمخشري : " وفي ذكر حالة الشهداء،واستبشارهم بمن خلفهم،بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة ، والجد في الجهاد،والرغبة في نيل منازل الشهداء ، وإصابة فضلهم [٣] "..

---

(١) يراجع في ذلك الآيات : ١٩- ٢٨.

(٢) يراجع في ذلك الآيات : ٢٥ ،٤٢-٥٢.

(٣) الكشاف ٤٨٠/١ تح/محمد الصادق قمحاوي ط دار المعارف بيروت – لبنان من دون .

بل هو جهاد مخصوص،سبقته هزيمة شديدة الوقع على المسلمين ، هذا ما عبر عنه النظم الحكيم في الآية بلفظ (القرح) ، وهذا- لا شك – ما يتطلب قوة أكثر في التعبير عن ثواب الإحسان هنا ، مدحا لهؤلاء المجاهدين، وتقديرا لعملهم ليتحقق من خلال ذلك أقوى حث على الجهاد وأبلغه وأحسن ترغيب فيه...

فالسياق سياق حث وحض على الجهاد ، وفي قوة الثواب وعظمته حض ثان عليه ، ومدح لفاعليه ، وفي ذلك حض آخر... فهو حض متتابع يقوي بعضه بعضا ، منسول من سياق الآيات وغرضها...

وأول مظاهر القوة في التعبير عن الثواب اصطفاء لفظ (أجر) الذي يدل على أن ما ينتظرهم من إحسان إنما هو أجر لهم على قدر عملهم فهم أحقاء به ..

وفي هذا مدح وتعظيم لهم ولعملهم ، عن طريق بيان أن هذا الثواب العظيم من الله – تعالى – بمثابة أجر يقابل ذلك العمل العظيم منهم ؛ لأن عظم الأجر ينبع من عظم العمل المأجور عليه ...

كما تظهر هذه القوة في تنكير (أجر) وما فيه من عموم وشمول وإطلاق ؛ ليندرج تحته كل معاني الخير ، ويدخل فيه كل نعيم وثواب دون تحديد ، إشارة إلى أ، إحسان الله – تعالى – إليهم لا حد له ... وهذا ما لا يؤديه ذكر الثواب ذاته أو تحديد نوعه....

كما تظهر في إفراده –أجر– وما فيه من معنى دقيق يتلاءم والحديث عن صحابة رسول الله –ﷺ – وقد استجابوا لله والرسول – من بعد ما أصابهم ما أصابهم إثر هزيمة أحد (القرح) فخرجوا معه للجهاد مرة أخرى... ومن ثم وصلوا جميعا – من دون تفاوت بينهم – إلى الدرجة العظمى من الإحسان ، فهكذا جزاؤهم بلغ الدرجة العظمى من الإحسان حيث لا تفاوت فيه ، فكأنهم لتجمعهم واتحادهم وتوحدهم في الدفاع عن رسول الله –ﷺ – ونصرة دينه – وهو من المواطن التي يذم فيها التفرق والانفراد – وحد الله – تعالى – أجرهم حيث لا تفاوت فيه...

وفي هذا دليل على كمال الرضا عنهم جميعا ، وهذا ما لا تؤديه صيغة الجمع (أجور) ؛ إذ قد يتوهم معه التفاوت والاختلاف ، وأن منها أقل ومنها أكثر ، وبعضها حسن وبعضها أحسن...

كما يظهر في التفصيل الوارد في ثوابهم ، تلاقيا مع التفصيل الوارد في صفاتهم الدالة على عظيم إحسانهم ، وزيادتهم فيه على غيرهم ...فكما أن إحسانهم يزداد كلما ازدادت الفتن ، وتوكلهم عليه يقوى كلما اشتدت الإحن فإن ثوابهم يتتابع ويزداد تعظيما تلاقيا مع حالهم...هذا ما يبينه قوله﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ١٧٣، ١٧٤، فمجموع صفاتهم في السياق هي (المؤمنين – الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح –الذين أحسنوا – اتقوا– الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا – قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

ومن ثم جاء ثوابهم مفصلا يفيض بالإحسان ليلائم ذلك،وكلاهما لاءم – كما سبق – سياق الحث على الجهاد الذي تطلب تلك القوة وذلك التفصيل في التعبير عن المثاب وثوابه ليحقق الغرض المؤم من هذا السوق وهو المبالغة في الحض على الجهاد ، ومزيد الحث عليه والترغيب فيه...

فضلا عما يحمله البناء التركيبي – في هذا التفصيل – من قدرة على إبراز قوة الثواب...

فتجد الفاء في قوله : (فانقلبوا) وما تحمله من معنى التعقيب الذي ينبئ عن سرعة إثابتهم...واصطفاء التعبير بـ (انقلبوا) للدلالة على تبديل حالهم،وتغييره كامل التغيير من الغم والنصب إلى السعادة في الدنيا بالنصر ، وفي الآخرة بالثواب العظيم ، وهذا ما ينبئ عنه تقييد الانقلاب بكونه (بنعمة من الله وفضل)...

والباء في(بنعمة ..) وما فيها من الدلالة على مصاحبتهم نعمة الله وملازمتها إياهم...وتنكير لفظ (نعمة) الدال على التعظيم ، فضلا عن تعظيمها بإضافتها إلى الاسم الأعظم[1]، والتصريح به،وبكونها منه ، فهو تعظيم على تعظيم،ثم عطف (وفضل) عليها ؛ ليزيد هذه النعمة ويقويها بما يحمله من معاني الزيادة ...

---

(١) ينظر نظم الدرر :٢/١٨٤.

فمن انقلب وقد صاحبته نعمة الله التي لا تُحصَى ، وفضله الذي لا يُحد فقد بلغ أعلى مراتب الثوب ... وفي هذا عموم وإطلاق لهذا الثواب منحه قوة لاءمت السياق...

وقوله :﴿ لَّم يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ وما فيه من المبالغة في نفي السوء عنهم عن طريق اصطفاء مادة المس من دون الإصابة مثلا...؛ للدلالة على نفي إصابتهم أدنى إصابة بأي سوء،فهم لم يمسسهم طفيف المس أي سوء... وهذا ما يؤكده ويعضده فك الإدغام والإتيان به من المسيس ، فضلا عن تنكير (سوء) الدال على تحقيره وأقله...

بخلاف الإصابة فإن فيها دلالة على تمكن الإصابة بالسوء وشدتها وقوة أثرها ... ومن ثم فإن نفيها لا يمتنع معه مس السوء ، بخلاف نفي المس ، بل المسيس الهين ...فإنه إبلاغ في نفي أي مس بأي سوء...

والإتيان بهذا المعنى على صيغة الفعل المضارع المنفي بـ (لم) مبالغة في بيان عدم إصابتهم بسوء أو مكروه، عن طريق إفادة نفي أصل المس وتكرره ، حاضرا أو مستقبلا ...وبهذا يشمل نفي مسهم أي سوء ، ويعم الدنيا والآخرة ...

وفي ذلك قوة إحسان تلائم السياق وطريقة نظم التعبير عن المثاب وما يفيضان به من إحسان ، وتقابل مقولة المنافقين لإضعاف هؤلاء المحسنين﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ فجاء التعبير عنهم بأنهم :

﴿ لَّم يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ ردا عليهم وتعريضا بهم ، وتحقق بذلك التوازن والتلاؤم في السياق...

ويكتمل الإحسان بعطف ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ على انقلابهم مصحوبين بنعمة الله التي لا تحصى وفضله العظيم الذي لا يُحد دون مسيس أي أذى = وما تشعّ به من إحسان عن طريق اصطفاء مادة الرضا والتعبير بصيغة المصدر الذي يدل على المبالغة في كماله ، وتنكيره الذي ينبئ عن تعظيمه ؛ ليقابل ما قاله المنافقون في شهداء أحد ، إذ قالوا :﴿ لَوْ

أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ ؛ لأن اتباعهم رضوان الله يدل على صواب اختيارهم وحسن فعلهم ، ويثبت عن طريق مفهوم المخالفة نفي طاعتهم المنافقين ، ويؤكد عدم اتباعهم...

كما أن التعبير بـ:﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ يتلاقى مع التعبير بذلك في ذكر الفرق بين نوعي المجازى في قوله قبلها: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ١٦٢...، كما يتلاقى مع ذكر(رضوان الله) في قوله – في جزاء المتقين في أول السورة – : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ١٥...

والتذييل بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ يفيض بالإحسان وكمال الإنعام ، عن طريق إسناد الفضل فيه إلى الاسم الأعظم ، وإظهاره في موضع الإضمار، ثم اصطفاء التعبير بمادة الفضل التي تنبئ عن الزيادة ، وتنكيره الذي يدل على تعظيمه وعمومه،ثم وصفه صراحة بأنه عظيم والنص على تعظيمه ...

وذلك غاية الإحسان ومنتهاه ، فهو فضل عظيم من الله العظيم ، ثم هو عام لا يخص أحدا بعينه فمن باب الأولى أن يضاعف ويقوى ويزاد لمن بلغوا غاية الإحسان ...

ومما يشهد بقوة الإحسان وزيادته في هذا الموضع تكرار لفظ الجلالة الذي يدل على العظمة في السياق، حي ورد مرتين في التعبير عن المثاب هما : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ، ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾، وثلاثا في التعبير عن الثواب ، هي: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ... وفي ذلك ما فيه من تقوية المجاهدين ومساندتهم ، وشد أزرهم وتخويف أعدائهم ، والرد على من حاول تثبيطهم ، وبث الخوف والوهن في قلوبهم من المنافقين...

قال الإمام البقاعي : "ولعظم الأمر كرر الاسم كثيرا [١] "..

وهذا ما يتلاءم مع سياق الحث على الجهاد بعد هزيمة مازال أثرها في نفوس المؤمنين من قروح ، وفي أجسادهم من جروح لم تبرأ بعد ، فضلا عن نقص في العدد والعدد...

ومن ثم كان أحوج السياقات إلى هذه القوة وتلك العظمة في التعبير عن الثواب التي لا تكاد تجدها في غيره تلاقيا مع التعبير عن المثاب وعظيم عمله...

بخلاف المواضع الأخرى ، فهي وإن كان التعبير فيها عن الإحسان – في جانب الثواب أو المثاب – قويا في حد ذاته ، إلا أنه بالنسبة لما ورد في آل عمران فهي جميعها أقل منها في معنى الإحسان ...

وأقربها إلى موضع آل عمران من حيث قدرة بنائها التركيبي على إبراز قوة الإحسان قوله تعالى :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾يونس٢٦.

ومرد ذلك ومرجعه إلى تقارب السياق فيهما ، فهو في كليهما حث وحض ، إلا أنه في آل عمران – كما سبق – حث وحض على الجهاد وجهاد خاص،وفي يونس حث وحض على نيل ثواب الآخرة وترغيب فيه عن طريق بيان أن هذه الدار –الدنيا – التي رضوا بها واطمأنوا إليها دار المصائب ومعدن الهلكات والمعاطب ، وأنها ظل زائل لا محالة ، وأن زوالها مباغت مفاجئ لمن تمسك بها ، واغتر بتملكها ؛ إذ يكون دون مقدمات وهي في أوج ازدهارها وقوتها ، وكامل بهجتها وزينتها في قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يونس ٢٦ .

---

(١) نظم الدرر :١٨٥/٢.

يقول الشيخ سيد قطب : " وكذلك تملأ نفوسهم بالتوجس والتوقع لبأس الله في كل لحظة ، ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة ، ولا ينخدعوا بازدهار الحياة حولهم..[١]."

وفي ذلك تحذير شديد منها وتنفير عنها ينبئ بمفهوم المخالفة عن عناية بالآخرة ، وترغيب فيها،ودعوة إليها، وحث عليها ...

وهذا ما نص عليه السياق صراحة في قوله- بعدها- : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ٢٥ الذي يبين أن الدار التي دعا إليها سالمة من كل نصب وهم ووصب ، وأنها ثابتة بلا زوال[٢] ، ليكون في مقابلة ذم الدنيا ، والتحذير منها ، ووصف زوالها ...

وفي هذا ما لا يخفى من العناية بثواب الآخرة ، والتلطف في الدعوة إليها حرصا على الاستجابة ، وهذا ما يؤكده بناء الآية ونظمها ..

فتجد من مظاهر هذه العناية ، وذلك الحرص والتلطف التعبير بالاسم الأعظم (الله) وإسناد الدعوة إليه مباشرة : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ ﴾ من دون وساطة بينه وبين عباده ، وهذا غاية العناية والتلطف ...

كما تجد ذلك – أيضا – في التعبير عن الدعوة بصيغة المضارع وحذف مفعوله للدلالة على تجددها واستمرارها[٣]، فضلا عن عمومها وشمولها الخلق جميعا[٤]، فهو تعالى يدعو الجميع إلى ثوابه ، ويجدد الدعوة لكل أحد وفي كل وقت ...

كما تجده في بيان أن الدعوة إلى دار السلام مباشرة من دون ذكر وسائط لذلك ...، وهذا أقوى من توجيه الدعوة إلى فعل يؤدي إليها كالإيمان ، أو الإحسان مثلا، أو غيرهما مما يكون سببا أو واسطة في الفوز بدار السلام ...

ولك أن تتأمل الفرق بين (يدعو إلى دار السلام) و(يدعوا إلى الإيمان أو الإحسان)...

---

(١) في ظلال القرآن ١١/ ١٧٤٧.

(٢) نظم الدرر: ٣/ ٤٣٤.

(٣) نظم الدرر: ٣/ ٤٣٤.

(٤) التحرير والتنوير ١١/١٤٥.

وتجده – أيضا – في التعبير عن الجنة بـ (دار السلام) الذي يدل على أنها لا عطب فيها أصلا ، وأن السلامة فيها دائمة ، والسلام فيها فاش... [١].

ومن ثم تطلب هذا السياق القائم على الدعوة المؤكدة والحث القوي والحرص الشديد على نيل ثواب الله –سبحانه– أن يأتي التعبير فيه عن المثاب بـ (الذين أحسنوا) لما فيه من قوة تلائم قوة الحث والاهتمام ...، وأن يأتي التعبير فيه عن الثواب – أيضا – بما يفيض منه الإحسان تلاؤما مع التعبير عن المثاب وتلاقيا مع السياق ...

فتجد مظاهر القوة والإحسان في الثواب في تفصيله بذكر أن لهم (الحسنى) ، و(زيادة) ، وأنهم (لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) وأنهم (أصحاب الجنة) وأنهم (فيها خالدون)..

كما تجدها في قدرة البناء التركيبي على إبراز الإحسان في هذا الثواب ...

فتجد اصطفاء لفظ (الحسنى) ونظمه على صيغة اسم التفضيل – فهي مؤنث الأحسن – للدلالة على أنها في غاية الحسن من الجزاء[٢] ، وتعريفه بـ (أل) الجنسية للدلالة على الاستغراق ، وأن لهم في الآخرة جنس الأحوال الحسنى ... [٣]

وعطف (وزيادة) عليها بما فيها من عموم وشمول وإطلاق يناسب كونها من الله تعالى ، ويلائم سياق الرغبة الزائدة في الهداية ، والاهتمام الأقوى بالترغيب في ثواب الآخرة والحث الأكثر على الوصول إلى دار السلام ...

وهذا ما يؤكده اصطفاء مادة الزيادة المنبئ عن الكثرة ، والتعبير بصيغة المصدر الدالة على أن الزيادة ذاتها وأصلها ككل لهؤلاء المحسنين ..وتنكيرها المنبئ عن تعظيمها ... [٤].

---

(١) نظم الدرر: ٣/ ٤٣٤.

(٢) نظم الدرر: ٣/ ٤٣٤.

(٣) التحرير والتنوير ١٤٦/١١.

(٤) ينظر نظم الدرر: ٣/ ٤٣٤، ولثراء لفظة (زيادة) وقوتها البلاغية جاءت قوتها تفسيريا ، فقيل : إن المراد بها : النظر إلى وجه الله الكريم ، ويؤيده ما ورد في صحيح مسلم وجامع الترمزي عن صهيب أنه قال في قوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾: (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، قالوا : ألم تبيض وجوهنا ،وتنجنا من النار ، وتدخلنا الجنة ؟ قال :فيكشف الحجاب ، قال ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه) ، والحديث في الجامع الصحيح للترمذي:٢٨٦/٥ برقم ٣١٠٥ تح/أحمد محمد شاكر وآخرين ط دار إحياء التراث العربي بيروت من دون ،

ثم يكتمل نعيمهم ببيان أمنهم من المضار، ونجاتهم من المكاره عن طريق نفي إرهاق وجوههم قتر أو ذلة في قوله : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [1] ، وإثابتهم بالحسنى وزيادة ، ونفي إرهاق وجوههم بقتر أو ذلة ، يحقق ملاءمة دقيقة في السياق ...

ذلك أن آية الثواب سُبقت بالحديث عن الدنيا وزخرفها و زينتها ، وبيان مصيرها في قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ... ﴾ .

ففي قوله : ﴿ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ دلالة على أن الأرض قد أخذت ذلك الزخرف وتلك الزينة من غيرها ، وأنهما ليسا أصلين فيها ، فهما زخرف مستعار ، وزينة مصطنعة ...

وهذا ما يقابله مجازاة الذين أحسنوا وإثابتهم بـ (الحسنى وزيادة) لما في الحسنى من دلالة على تأصيل حسن الآخرة ، فضلا عن بقائه وفضله على غيره ، وفي (وزيادة) من دلالة على التفضل والكثرة غير المحدودة ، وبذلك يكون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة لا حد لها ولا يُعلم مقدارها ...

كما أن بين قوله : ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ ـ بما فيه دلالة على المبالغة في معنى الهلاك وسرعته ومفاجأته ، مما شأنه أن يغير الوجوه ، ويُغشيها كآبة وهوانا ، ويُرهقها قترا وذلا من شدة البؤس وارتجاف الفؤاد ... ـ

والسنن الكبرى للنسائي:٦/ ٣٦١ برقم ١١٢٣٤تح د/ عبد الغفار سليمان البنداري = وآخر ط دار الكتب العلمية بيروت – الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، مسند الإمام أحمد بن حنبل :٤/ ٣٣٣ برقم ١٨٩٦١مؤسسة قرطبة القاهرة من دون .

وقيل : إن المراد بها رضا الله – تعالى – كما في قوله: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ٧٢،ينظر التحرير والتنوير ١٤٦/١١.

(١) الرهق : الغشيان ، والقتر : تغير في الوجه معه سواد وعبوس ، والذلة : كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان ، والمراد : أثرها .ينظر مواد (ر هـ ق – ق ت ر– ذ ل ل) في جمهرة اللغة لابن دريد، الصحاح للجوهري موقع الوراق الإلكتروني ، لسان العرب لابن منظور ط دار الفكر – بيروت – الأولى ١٩٩٧م .

تلاؤم بالتقابل مع نفي ذلك في إثابة الذين أحسنوا ، مما يضمن لهم بقاء نعيمهم _ بالأمن من المضار،والنجاة من المكاره ــ ويحفظ لهم حسن هيئاتهم،ويبين الفارق الشديد بين الحالتين ...

كما أنه يتلاقى بالتقابل مع قوله – بعدها مباشرة في الحديث عن جزاء الذين كسبوا السيئات – ﴿...وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا...﴾ ٢٧.

كما أن التعبير عن الذين أحسنوا بأنهم (أصحاب الجنة) في جملة الثواب بما يدل عليه من التمكن والألفة والسلام والملازمة التي يؤكدها الخلود في قوله – بعدها – : ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ = يقابل عمن في الدنيا بأنهم أهل الأرض في قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ...﴾ مما يدل على قرب المفارقة وعدم التمكن ، وهذا ما يؤكده سرعة الزوال ، وقرب الفناء وبغتته في قوله : ﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾ ..

فالتمكن والملازمة في علاقة الذين أحسنوا بالجنة يقابل المفارقة والمفاجأة بين الأرض وأهلها ، والخلود في ثواب الذين أحسنوا في الآخرة يقابل الزوال الذي يشمل الدنيا بما ومن عليها ..

وبهذه المقابلات تحقق التلاؤم والارتباط بين الصورتين في السياق فكان التفصيل الوارد في جملة الثواب ملائما ومقابلا للتفصيل الوارد في ذكر أحوال الدنيا في السياق ...

من خلال ما سبق يتضح أن أقرب المواضع إلى آية آل عمران هو موضع يونس ؛ إذ يشتركان في كثرة التفصيل الوارد في التعبير عن الثواب ، إلا أن موضع آل عمران أقوى في إبراز الإحسان في جانب المثاب والثواب – كما سبق – ؛ لأن المثاب (الذين أحسنوا) في آل عمران هم صحابة رسول الله –ﷺ – وفي أقصى حالات الإحسان ، وأشقها على النفس ، وهي الخروج للجهاد بعد هزيمة قاسية نتج عنها ضعف مادي – بنقص العدد والعدد– ، ومعنوي عبر عنه النظم الحكيم بـ (القرح) ، فضلا عن محاولات اليهود فتنهم

وتوهينهم وتثبيط عزائمهم ، لكنهم واجهوا كل ذلك بالثبات وحسن اليقين ، فلم تُضعفهم هذه الأحداث ، ولم تؤثر فيهم من المنافقين كل المحاولات ، بل زادتهم إيمانا على إيمان ، ويقينا على يقين ، فكان إحسانهم أعظم من إحسان غيرهم ...

ومن ثم جاء التعبير عنهم ومدحهم بطريقة أقوى؛إذ عدد السياق أوصافهم،ولم يقتصر على إحسانهم بل أضاف إليه وصفهم بالإيمان،والاستجابة لأمر الله ورسوله بعد القرح،والثبات على الإيمان ، بل زيادته عند محاولات التثبيط والفتن ، وأخيرا التوكل على الله – تعالى – وتفويض الأمر إليه ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ ..

أما المثاب – الذين أحسنوا – في آية يونس فهو كل من أحسن على وجه العموم ، ومن ثم لم يوصفوا بغير الإحسان ؛ ولهذا جاء التعبير عن الثواب في آية آل عمران أكثر قوة منه في آية يونس حيث صُرح فيها – آل عمران – باسم الله الأعظم – لفظ الجلالة (الله) – وذكر أكثر من مرة ، ولم يحدث شيء من ذلك في آية يونس.

كما أن التعبير عن نجاتهم من المكاره وسلامتهم من المنغصات جاء في آية آل عمران بنفي المسّ ﴿ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ الذي هو أدنى درجات الإصابة بالسوء – كما سبق – ليفيد المبالغة في نفي أي مس بأي سوء ، فهو نفي عام وشامل لأن يمسسهم أي سوء مجرد المسيس الهين ، أ و المس الذي هو أقوى منه ، أو الإصابة والإرهاق وهما الأقوى ؛ لأن نفي الشيء اليسير يشمل نفيي ما هو أقوى منه وليس العكس ...

وبهذا كان نفي مسيس السوء أقوى في التعبير عن النجاة منه – السوء– من نفي إرهاق وجوههم بالقتر والذلة الوارد في آية يونس ، وكلاهما ملائم لسياقه – كما سبق – ولحال المثاب فيه...

أما قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ النجم ٣١.

فقد جاء التعبير فيها عن الثواب بقوله : ﴿ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ وهو وإن كان قويا في حد ذاته ، وفيه إحسان من حيث اصطفاء بناء الكلمة من مادة الحسن ،

ومجيئها على صيغة التفضيل مما يلائم طريقة التعبير عن المثاب ؛ إذ الإحسان في كليهما ، إلا أنه أقل قوة مما ورد في آيتي آل عمران ويونس – كما سبق – ...

حيث صُدر التعبير عن الثواب في آية النجم بلفظ الجزاء (ويجزي) وفي ذلك إشعار بأنهم لن يأخذوا الثواب أو ينالوا الحسنى إلا بعد مساءلة يعقبها المجازاة ...

أما في آيتي آل عمران ويونس فقد جاء النظم بما يشعر بالملكية والاستحقاق ، فضلا عن سرعة الوصول وهذا ما أفادته اللام في قوله – فيهما – : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ ..

فهم فيهما أخذوا جزاءهم بالفعل وتملكوه ووصلوا إليه في غاية السرعة بمجرد بعثهم ، بخلاف آية النجم التي ينبئ النظم فيها عن أنهم ما وصلوا إلي هذه الحسنى إلا بعد معاناة المحاسبة والعرض والمجازاة ...

فضلا عن أنه – الجزاء – فيها – النجم – جاء موجزا ؛ إذ اقتُصر فيه على (الحسنى) من دون (زيادة)، أو تفصيل في أجزاء الثواب ... كما أنه جاء فيها مؤخرا عن جملة عقاب الذين أساءوا ومعطوفا عليه ، وهذا ما يتناسب وسياق الأمر بالإعراض عمن تولى ، وعدم الاهتمام بدعوته ، فضلا عن أنه يتلاقى مع الترتيب بين الضال والمهتدي في قوله – قبلها– : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾٣٠

بخلاف آيتي آل عمران ويونس فقد جاء ثواب (الذين أحسنوا) فيهما مقدما ، مما ينبئ عن تعظيمه والعناية به ، والاهتمام بشأنه تلاؤما مع سياقه ...

إذ إن تقديمه في آل عمران يتلاقى مع قوله – قبلها – : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ١٦٢..

كما أن تقديمه في يونس يتلاقى مع تقديم أخذ الأرض زخرفها وزينتها في ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ... ﴾ على فنائها وهلاكها في ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ في سابقتها ...

كما يتلاقى مع تقديم جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات على جزاء الذين كفروا في قوله : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ يونس:٤ ...

ومرجع ذلك – التعبير عن الثواب في النجم بما هو أقل قوة منه في آل عمران ويونس – ومرده إلى اختلاف السياق ؛ إذ إن سياق آل عمران – كما سبق – سياق حث وحض على الجهاد – بل هو جهاد من نوع خاص – ومزيد اهتمام ومدح ، وسياق يونس حث عام وعناية واهتمام وحرص على نيل ثواب الله الأخروي ، يبدو هذا من عموم الدعوة إلى الله في ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ، مما استدعى ورود الثواب فيهما أكثر قوة وتفصيلا ...حثا على نيله ، وتعريضا بمن حُرمه...

أما سياق النجم فهو معاكس لذلك تماما ؛ إذ هو سياق إهمال شديد لكل من تولى عن ذكر الله – عن طريق الأمر الصريح بالإعراض عنه ، وعدم دعوته إلى الإيمان ونيل ثواب الآخرة ، وذلك في قوله – قبلها – : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٩...

قال الشيخ سيد قطب : (هذا الأمر بالإعراض عمن تولى عن ذكر الله ولم يؤمن بالآخرة ولم يرد إلا الحياة الدنيا موجه ابتداء على الرسول – ﷺ – ليهمل شأن أولئك المشركين الذين سبق الحديث قي السورة عن أساطيرهم وأوهامهم وعدم إيمانهم بالآخرة .. [1].) .

ومن ثم كان الأنسب بهذا السياق أن يأتي التعبير عن الثواب موجزا غير مفصل ؛ لأن تفصيل الثواب وتقويته عقب الحديث عن الكافرين تنبئ عن الحرص على استجابتهم عن طريق ترغيبهم في هذا الثواب من خلال هذه القوة الأكثر في التعبير عنه،وفي هذا قوة الحث على الإيمان والدعوة إليه ، وهذا ما لا يتطلبه السياق ؛ لمناكدته صريح الأمر بالإعراض عنهم في : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٩...

---

(١) في ظلال القرآن : ٣٤١٠/٢٦.

كما أن الإيجاز في التعبير عن الثواب في آية النجم ملائم للإيجاز في التعبير عن جـزاء (الذين أساءوا) في قوله : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ من دون تفصيل لعذابهم ..

وهو ما يتلاقى أيضا مع الإيجاز في التعبير عن قسمتهم الجائرة ورد اعتقادهم الخـاطئ أنوثة الملائكة في قوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ ٢١،٢٢، حيـث عبر عن غرابة وبشاعة قسمتهم بكلمة واحدة (ضيزى) وذلك غاية الإيجاز ، ثم قابلـه بعـد ذلك بذكر قسمته – تعالى – العادلة بين خلقه ، التي تقابل وتخالف قسمتهم الجائرة ، وجـاء التعبير عنها – أيضا – بغاية الإيجاز فتحقق بذلك التلاؤم في السياق...

كما أنه ملائم للإيجاز في الحديث عن تعلق الكفار بالدنيا في قولـه:﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٩بدون تفصيل .. ومن ثم تلاقى معه ولاءمه الإيجاز وعدم التفصيل فـي ثـواب الآخرة بعده وكلاهما ملائم لسياق إهمال المشركين ، والأمر بالإعراض عنهم ... كمـا أنـه ملائم للإيجاز فـي قولـه : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ ٣٢، ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ ٤١، فالإيجاز سمة أسلوبية غالبة فيها...بخلاف آيتي آل عمران ويونس، فإن التفصيل في التعبير عن الثواب يتلاقى ويتلاءم مع السياق فيهما ...

إذ يتلاقى في آل عمران مع مدح المجاهدين بعد القرح وتعديد صفاتهم – كما سـبق – :﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ ﴿ وَٱتَّقَوْاْ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾،﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾

فضلا عن أن التفصيل في التعبير عن الثواب أو العقاب سمة غالبة فيها ... [1].

ويتلاقى في يونس مع تفصيل أحوال الدنيا تلاؤما مع قوة الحديث عن الإيمـان وقـوة الدعوة إلى دار السلام في قوله : :﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ.....﴾

---

(١) راجع إن شئت في تفصيل الثواب وتكراره الآيات :(١٥،١٣٣،١٣٦،١٦٩،١٧١،١٩٨)..

الآية يونس ٢٦، إذ يبين حقيقة الدنيا وأنها مهما طالت وازدهرت وازدانت فإنها ظل زائل ومتاع منقض ، بخلاف ثواب الآخرة فهو الباقي الأعظم ... كما يتلاقى مع التفصيل في جزاء الذين كسبوا السيئات في قوله ــ بعدها - : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ **﴾ يونس ٢٧..**

فجاء التفصيل في الذين أحسنوا ليقابل التفصيل في الحديث عن الدنيا قبلها وفي عقاب الذين كسبوا السيئات بعدها[١] ، ولاءم كل سياقه...

أما قوله – تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا **﴾ الكهف ٣٠، فهو وغن كان فيه إحسان عن طريق النعبير بلفظ (أجر) الذي ينبئ عن كمال استحقاقهم هذا الثواب، ثم تنكيره تعظيما لثوابهم وعملهم ....، إلا أنه قد جاء فيها بطريقة مغايرة لسابقاتها ؛ إذ لم تأت بإعطائه أو إيصاله إلى الذين أحسنوا ، أو كونه جزاء لهم ، إنما جاءت بذكر عدم إضاعته...**

كما أن جملة المثاب و الثواب فيها جاءت معترضة بين الذين آمنوا وجزائهم .. ومتأخرة عن جملة التعبير عن الظالمين وعقابهم ...

ومرجع ذلك ومرده إلى اختلاف السياق فيهما ، فهي واردة في سياق التهديد والوعيد بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله تعالى [٢]..

قال الإمام البقاعي : (ولما رغبه في أوليائه ، وزهده في أعدائه [١]....علمه ما يقول لهم على وجه يعمهم ويعم غيرهم ويعم القصة جميعها فقال تعالى- مهددا متوعدا [٢] - : ﴿

---

(١) راجع إن شئت في تفصيل العقاب وتكراره فيها في الآيات : (١٠،١١،١٢،٧٧،٨٦،٨٧،٨٨،٩١،١١٦،١٦٢،١٧٦،١٧٧،١٨٧)

(٢) ينظر نظم الدرر: ٤/٤٦٥.

وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ ٢٩...

ولما كان هذا التهديد وذلك الوعيد عاما لهم ولغيرهم ناسبه النص على عدم ضياع أجر من أحسن عملا ؛ دفعا لما عسى أن يتوهم أو يُظن من شمول التهديد وعمومه ...

قال الإمام البقاعي:(ولما هدد السامعين... أتبع هذا التهديد تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد والوعيد [٣]).

كما أن التعبير بعدم ضياع أجر من أحسن عملا يتلاقى مع الحديث عن ضياع الدنيا وزينتها في قوله – في السياق القبلي في مطلع السورة – : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾ **الكهف** ٨،٧

وقوله – في السياق البعدي –:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ ٤٥؛ **لبيان المفارقة الشديدة بينهما ، نصا على أن الشيء الباقي الذي لا يمكن ضياعه مع ضياع الدنيا هو أجر الإحسان فيها لمن أحسن ...**

فضلا عما في ذلك من تعريض بالظالمين الذين ضاعت دنياهم بما عملوا فيها مما شأنه أن يعمرها ويزينها،ولم يبق لهم إلا العذاب ، تأكيدا للمفارقة الشديدة بين الحالين ....

---

(١) في قوله قبلها ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ الكهف ٢٨.

(٢) ينظر نظم الدرر: ٤/٤٦٤.

(٣) ينظر نظم الدرر:٤/٤٦٥.

كما أنه يتلاقى مع الحديث عن جنتي المشرك ، والإحاطة بثمره بعد نصح المؤمن له في قوله – في السياق البعدي - : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ ٤٢.

أما تأخيرها عن الحديث عن الظالمين وعقابهم فإنه يتلاقى مع ما بنيت عليه السورة في مجملها ، حيث افتتحت بتقديم النذارة على البشارة في قوله : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ٢، وختمت بتقديم الكافرين وعقابهم على الين آمنوا وجزائهم في قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا....

.....إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ الآيات ٩٩-١١٠.

كما أنه يتلاقى مع سياقها الخاص التي وردت فيه – سياق التهديد – الذي يتطلب العناية بجملة العقاب عن طريق تقديمها ...

كما يتلاقى في السياق مع تقديم حال المشرك – صاحب الجنتين – على حال صاحبه – المؤمن – في الآيات ٣٢-٤٢...

المبحث الثاني:التلاؤم بين الإحسان (قيدا) وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام

توطئـــــة

القيد هو مناط المعنى ومحل توجهه في الجملة ؛ إذ يتوقف تعقل الفعـل علـى تعقلـه – القيد– عند السامع، فهو الدال على الحدث .

يقول الشيخ : " وجملة الأمر أنه ما من كلام فيه أمر زائد على مجـرد إثبـات المعنـى للشيء إلا كان الغرض الخاص من الكلام والذي يُقصد إليه ويُزجى القول فيه[١] ".

ولهذا ذكر السيد الشريف أن انتفاء القيد يوجب انتفاء المقيد [٢] ، وقياسا عليه فإن تغيره – القيد – يوجب تغير المقيد ، وهذا ما عناه أبو هلال عندما ذكر أن (جاء) لا بـد أن يقيـد (جاء بكذا)، وذكر في (جئته) إذا لم تُعده لم تكن فيه دلالة على القصد [٣] .

ومن ثم فإن طريقة نظم الكلام وبنائه على القيود تعطي أحداثه الواردة فيه خصوصـية ، وتضفي عليها نية وقصدا وتعملا ، وتشير إلى أن فيه موافاة وجهدا ، ومن ثم فهـي أقـوى من التعبير بصيغة الفعل ؛ لأن قولك : فعل يدل على مجرد إثبات معنى الفعل للفاعل وحدوثه منه على العموم والجملة [٤].

بخلاف قولك : جاء بالفعل فإن فيه دلالة على أن ثمة مشقة ومكابدة ومجاهدة تجشـمها في فعله فضلا عن نية وقصد وموافاة فيه...ومن ثم جاء الجزاء معها أكثر قوة ــ مضـاعفا

---

(١) دلائل الإعجاز :٢٧٩.

(٢) حاشية السيد الشريف على المطول :١٨٨ قراءة وتعليق د/ رشيد أعرضي طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنـان ط الأولى ١٤٢٨هـــ_٢٠٠٧م.

(٣) الفروق اللغوية:١٥٣، وقد شرح بعضهم ذلك بقوله : (التقييد يكون لبيان نوع الفعل ، أو ما وقع عليه ، أو فيه ، أو لأجله ، أو بمقارنته ، أو بيان المبهم من الهيئة والذات ، أو عدم شمول الحكم ، وتكون القيود محط الفائدة ، والكلام بدونها كاذب أو غير مقصود بالذات) دروس البلاغة لتلامذة التجهيزية حفني أفندي ناصف ومحمد أفندي دياب وسلطان أفندي محمد والشيخ مصطفى طموم : ٢١المطبعة الأميرية الكبرى بولاق ط الرابعة ١٤١٧هـ ــ١٨٩٩م.

(٤) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / السيد أحمد الهاشمي ص١٤١ضبط وتدقيق وتوثيق د / يوسف الصميلي المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ط الأولى ١٩٩٩م.

، أو مفصلا حسب سياق كل ــ كما سيتضح بمشيئة الله وعونه في ثنايا الدراسة في هذا المبحث ...

استقراء المواضع التي جاء الإحسان فيها قيدا:

١ــ قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ **الأنعام ١٦٠.**

٢ــ قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ **التوبة ١٠٠**

٣ــ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ **الرعد ٢٢-٢٦..**

٤ــ قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ **النمل ٨٩.**

٥ــ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ...أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ **٥٢-٥٤.**

٦ــ قوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **القصص : ٨٤.**

٧ـ ﴿.... وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ الشورى من الآية : ٢٣.

هذه الآيات جميعها جاء الإحسان فيها قيدا (جاء بالحسنة)في الأنعام ١٦٠، النمل ٨٩، القصص ٨٤، (اتبعوهم بإحسان) في التوبة ١٠٠، (يدرءون بالحسنة السيئة) الرعد٢٣،القصص٥٤، (يقترف حسنة) الشورى ٢٣...

وأول ما يلحظ في هذه الآيات اطراد التعبير عن الإحسان فيها بصيغة الإفراد (من جاء بالحسنة)في الأنعام ١٦٠، النمل ٨٩، القصص ٨٤، (من يقترف حسنة) الشورى ٢٣ولم يند عن ذلك سوى مواضع التوبة ١٠٠ (اتبعوهم بإحسان) ، الرعد ٢٣، والقصص ٥٤ (ويدرءون بالحسنة السيئة)...

ومرجع ذلك ومرده إلى السياق عامّه وخاصّه فهو الذي استدعى ذلك وتطلبه ...

وبيان ذلك أن مبنى السياق العام لسورة التوبة يدور حول بيان التشريعات الخاصة بنوعية العلاقة بين المسلمين وغيرهم من – المشركين ، وأهل الكتاب ، والمنافقين ، وفضحهم والتحذير من مكائدهم – ولهذا تتابع آياتها في الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، والتحذير من التثاقل .

ومن ثم بنيت السورة على ما افتتحت به من إعلان البراءة من المشركين ورد عهدهم بسبب غدرهم [١]، ولذلك أظهرت كثيرا من صفاتهم وصفات المنافقين من نقض العهد والتولي بعد العلم وغيرها ؛ تحذيرا من شدة العذاب الناتج عن كفرهم وترغيبا في التوبة والإقلاع عن الشرك وإخلاص الإيمان ، فهي تصف الطوائف والجماعات لا الأفراد ، والجمع بذلك انسب ...

فضلا عن أنه – الجمع – يتلاقى مع سياق الحث على الجهاد الذي يلزم فيه التجمع والاتحاد ويذم فيه التفرق والانفراد ...

أما سياقها الخاص فهو في الحديث عن تمييز أحوال المؤمنين المخلصين ، والكفار الصرحاء ، والمنافقين [٢] .

---

(١) ينظر البديع في ضوء أساليب القرآن د عبد الفتاح لاشين طبع دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٧/١١.

وهؤلاء المؤمنون هم أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين قام على أكتافهم الدين (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وكل من سار على دربهم ، وأحسن اتباعهم ، ومن ثم جاء وصفهم بصيغة الجمع لتشتد عزائمهم باجتماعهم ، وتقوى رغبتهم ، فتزداد طاعتهم لله بسرعة امتثال أوامره وعدم التثاقل عنها... وهذا هو المعنى الدقيق المراد هنا،والذي لا يؤديه ولا يتناسب معه الإفراد ...

أما سورة الرعد فإن مبنى سياقها العام يدور حول غرس عقيدة التوحيد في النفوس ، وانتزاع ما يخالفها،والدعوة إلى العمل الصالح المكون للإنسان المهذب الناهض بمجتمعه بسن شريعة الإسلام من عند الله – تعالى– وتجلية طبيعة النبوة [١] ، مطوفة بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق ؛ إذ تعرض الكون كله في شتى مجالاته لإقرار عقيدة التوحيد[٢] ، وإثبات أنه – الكون كله بما فيه ومن فيه – لله وحده لا شريك له ، ومن ثم بنيت على أمرين متناقضين يلخصان موضوعها ويشيران إلى جملة قضاياها، وهما :

الانتصار للقرآن ، وأنه الحق لا مرية فيه ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ .

عدم الإيمان به مع ثبوته وحقّيّته ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الرعد من الآية١.

وهذا ما انعكس بشكل واضح على طريقة التعبير عن المجازى فيها – محسنا أو مسيئا ــ فجاء على صيغة الجمع للدلالة على شمول جزائه كل من في كونه كما شملهم إحسانه بدء من إنزال كتابه عليهم ــ وهو أعظمها ــ ثم تسخير الشمس والقمر ، ومد الأرض وتثبيتها برواسيها،وشق أنهارها وإخراج ثمارها ... [٣] .

كما أنه يتلاقى مع إحاطة علمه بالغيب والشهادة والسر والعلن ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

---

(١) ينظر من بلاغة القرآن أحمد أحمد بدوي ٣٠ ط الثانية مط نهضة مصر.

(٢) ينظر النظم القرآني في سورة الرعد / محمد بن سعد الدبل ٦٣ مط دار النصر للطباعة الإسلامية شبرا – مصر من دون.

(٣) كما يشير إلى ذلك الآيات : ١-٤.

وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ٨-١٠..

أما سياقها الخاص فهو في الحديث عن تمييز من استجابوا لربهم = وأيقنوا أن ما أنـزل إلى رسولهم هو الحق = ممن عموا فلم يستجيبوا ، وإنكار التسوية بينهما ، وبيان فضل من استجابوا [١] ، ومن ثم فهو يشيد بذكر أولي الألباب ذوي التفكر والتدبر والإيمان ، فيمضي مقررا في إجمال صفات أولئك السعداء ، وأنهم أهل طاعة كاملة واستقامة واصلة ، وسير على السنة بلا انحراف ولا التواء ، ثم عقب بصفات فرق آخر ... [٢].

أما آية القصص ٥٤ فجاء التعبير فيها عن المثاب بصيغة الجمع لأنها واردة في سياق الحديث عن طائفة معهودة من أهل الكتاب ، شهد الله لهم بأنهم يؤمنون بالقرآن ويتدبرونه ، وأثنى عليهم عن طريق تعديد صفاتهم من الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة والإنفاق والإعراض عن اللهو ، وهذا ما يتلاقى مع غرض السورة الرئيس وما بنيت عليه من التنويه بشأن القرآن العظيم والتعريض بالمشركين ، والإشارة إلى أن بلغاءهم عاجزون عن معارضته ، وذلك هو المعنى الدقيق المراد هنا ، وهذا ما يقويه ويؤكده التعبير بصيغة الجمع ، أما الإفراد فيضعفه وينال منه ...

وهذا ما لا تجده في المواضع الأخرى ، ومن ثم جاء التعبير فيها بصيغة الإفراد تلاقيا مع سياق كل آية..

إذ تجد السياق الخاص في آية الأنعام ١٦٠ ، والنمل ٨٩ ، والقصص٨٤ ، والشورى ٢٣ للآخرة وهو سياق محاسبة ومجازاة على الأعمال مما يتلاقى معه التعبير بالإفراد الذي يؤكد خصوصية الأعمال ، وتفرد كل شخص بعمله وجزائه وحسابه وهذا ما نص عليه في الأنغام قوله – في السياق القبلي- : ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَـٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ ٩٤، ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا

---

(١) كما تشير إلى ذلك الآيات ١٨-٢٥،و ينظر التحرير والتنوير ١٢٤/١٣.

(٢) ينظر في ظلال القرآن ١٣/ ٨٩ ط بيروت .

يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ ١٥٨،١٥٩، **وقوله – في السياق البعدي – :** ﴿ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ١٦٤...

وفي النمل قوله – في السياق البعدي – : ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ ٩٢، **كما يشهد له قوله – في السياق القبلي في قصة لوط – عليه السلام –:** ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ ٥٧، **وإن كانت المجازاة على الأعمال فيها دنيوية..**

وفي القصص قوله – في السياق القبلي – : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾،﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ٥٦، و﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ ٦١، ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾٦٧، **وقوله في البعدي :** ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ **مُّبِينٍ** ﴾ ٨٥

وفي الشورى قوله – في السياق القبلي – : ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ..﴾ **من الآية ١٥ ،** ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ ٢٠، **وقوله – في البعدي – :** ﴿

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ٤٠،٤١، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ....﴾٤٣،٤٤..

كما تجد الإفراد في آية الأنعام (من جاء بالحسنة) يتلاقى مع ما بني عليه سياق السورة العام ، من تنكر المشركين لدعوة الرسول – ﷺ – وعنادهم وإصرارهم على الكفر ، وإنكار الوحدانية ، وأثر ذلك على نفس رسول الله– ﷺ– كما دل عليه ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ... ﴾ ٣٣..

ومن ثم جاء السياق في مقابل ذلك بما يحمل تبرئته – ﷺ – من تبعة ذلك والتيسير عليه في أمر الدعوة وتسليته وتصبيره،وبدا ذلك جليا في كل أجزاء السياق بدء من مطلعها المستهل بـ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ ١، **ثم في جعل عدلهم وكفرهم به تعالى لا بدعوة الرسول في :** ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ ١، **وإعراضهم عن آيات الله لا عنه أو عن دعوته في :** ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾ ٤، **وتكذيبهم وجحودهم لها لا له في :** ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ ٣٣، **وقولهم عليها لا عليه (إن هذا إلا سحر مبين) في قوله :**﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ ٧، **ومن ثم جاء النص على براءته من شركهم ، وأن مهمته التبليغ تأكيدا على تفرد كل بعمله وجزائه : ﴿** وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ ، ﴿... قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ ، ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم

بِحَفِيظٍ ﴾ ، والتصريح بأن هذا ما جرت به سنة الله في جميع رسله وأقوامهم في : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ ٤٨،٤٩، وهذا ما أكده في قصة إبراهيم : ﴿....قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ٧٨، كما صرحت بتفرد الأعمال ، وأكدت أن منبعها إنما هي ذات فاعليها ﴿.....مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ... ﴾ ٥٢ ، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٦٩، بعد الأمر بالإعراض عن الظالمين الخائضين في آيات الله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ... ﴾٦٨، وعقبه الأمر بترك وهجر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا... ﴾ ٧٠، ﴿ ...ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ٩١ وجاءت خاتمة السورة مؤكدة خلاصة ما بني عليه معظمها من خصوصية الأعمال وتفرد كل بعمله وجزائه : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١٦٤،١٦٥...

فضلا عن أن الآية موضع الدراسة جاءت مباشرة بعد النص على براءته - ﷺ - من فعل غيره ممن فرق وبدل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾١٥٩...

كما أن الإفراد في آية النمل يتلاقى مع ما بني عليه سياقها العام ومقصودها من وصف القرآن الكريم بجمعه لأصول الدين، وكفايته لهداية الخلق أجمعين بالفصل بين الصراط

المستقيم وطريق الحائرين الضالين ؛ لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين ، وبشارة المؤمنين ونذارة الكافرين ، ومجازاة كل يوم اجتماع الأولين والآخرين [١].

كما يتلاقى مع إثبات العلم المطلق له – سبحانه – والتركيز على علم الغيب الذي بدا جليا في كل أجزاء السياق بدء من قوله في مطلعها : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾٦، **وفي ثناياها :** ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ **٢٥، و**﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ **٦٥،** ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ **٧٤،٧٥،**﴿...إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ ٨٨، **وفي خاتمتها** ﴿ ... وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ **٩٣، فضلا عما احتوت عليه من قصص يحمل العبرة ويؤكد إحاطة العلم ...**

كما يتلاقى مع تنكر المشركين لدعوة الرسول – ﷺ – وإصرارهم على إنكار البعث ، واستهزائهم به ، ومن ثم جاءت تسليته – ﷺ – في:﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِى ضَيۡقٍ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ ٧٠**،ودفع التبعة أو التقصير في :** ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلۡعُمۡىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ **٧٩- ٨١، تأكيدا لخصوصية الأعمال وتفرد كل بعمله وجزائه...**

وفي القصص يتلاقى الإفراد مع الغرض من قصة موسى وفرعون ، وقصة قارون وقومه – اللتين يقوم عليهما كيان السورة بدء وختاما – الذي يؤكد خصوصية الأعمال وتفرد كل بعمله وجزائه ، ومن ثم جاء النص على مجازاة من طغى أو بغى : ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ

---

(١) ينظر مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٣٣٣/٢ تح د/ عبد السميع محمد أحمد حسنين – مكتبة المعارف – الرياض ط الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.

فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٣٨،٣٩﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ..... فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ ٧٦-٨١.

كما يتلاق مع صفة الذين آمنوا من أهل الكتاب في قولـه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ٥٥..

وفي الشورى يتلاقى الإفراط مع ما شاع في كل أجزاء السياق ممـا يؤكـد خصوصـية الأعمال وتبرئة الآخرين من تبعتها ، كقوله في طليعتها : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ ٦،٧، ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ١٥، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ ٢٠ [1].

= كما يلحظ فيها اختلاف التعبير عن الثواب من حيث البناء التركيبي ومـا يحملـه مـن معان قادرة على إبراز قوة الإحسان في هذا الثواب ، أو كونه أقوى تبعا لاختلاف سياق كـل موضع ...

---

(١) ويراجع في ذلك الآيات : ٤٠- ٤٦.

إذ تجد أن موضع (التوبة) هو الأكثر قوة في معنى الإحسان في التعبير عن الثـواب ، وهذا ما يحمله البناء التركيبي لجملة الثواب فيها، وما تفيض به من معاني الإحسـان التـي تطلبها سياق تمييز أحوال المؤمنين المخلصين المجاهدين المهاجرين من أصحاب رسول الله - ﷺ - : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ...﴾ **التوبة ١٠٠،والترغيـب في اتّباعهم والسير على طريقتهم ، بعد الحديث عن أحوال الكفار والمنافقين والأمر بجهادهم** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾٧٣ ، **وفضحهم على رؤوس الأشـهاد** ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ... ﴾ ٧٤،﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ... ﴾ ٨١[1] ، **وتوعدهم على فعـالهم** ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ٨٠،﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ ٨٢ ،﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ... ﴾٨٤،﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ ٨٥، **والنهي عن خروجهم للجهـاد مع الرسول والمؤمنين ثانيـة** ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا... ﴾ ٨٣.

وهذا ما يتطلب قوة أكثر في التعبير عن ثواب الإحسان مـدحا لهـم وتقـديرا لعملهـم ؛ ليتحقق بذلك أقوى حث على اتباعهم ، وأبلغ ترغيب فيه ...

---

(١) ويراجع في ذلك الآيات :٨٣، ٨٦، ٨٧.

ثمة شيء آخر اختصت به هذه الآية من دون أخواتها هو أن التعبير فيها عن تحقق الإحسان في المثاب جاء بصيغة المصدر، فضلا عن أنها ليست في ثواب هؤلاء فقط ، وإنما في ثواب السابقين الأولين من المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ...

وتتمثل مظاهر القوة في التعبير عن ثواب الإحسان هنا في :

= الإخبار برضا الله – تعالى – الذي له الكمال كله عنهم ، الدال على عنايته بهم وإكرامه إياهم [١] مما ينبئ عن تعظيم غير متناه ؛ إذ يندرج تحت رضا الله عن العبد أكثر معاني التكريم والإثابة ..

= ثم إسناد ذلك الرضا إلى اسم الله الأعظم وما فيه من مدح وتعظيم لهم ولعملهم ، يبرز قوة إحسانهم ويؤكد الحث على حسن اتباعهم عن طريق بيان أن الله الذي شرع الشرائع رضي عن أفعالهم واستحسن منهجهم وأقر طريقتهم ، قال الرازي : " لما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم وهو قوله : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾.[٢]."

= ثم اصطفاء التعبير بصيغة الماضي (رضي) وما فيها من الدلالة على تحقق الرضا وحصوله ، مما ينبئ عن سرعة رضا الله تعالى عنهم ، وسبقهم غيرهم في الفوز بهذا الرضا العظيم منه سبحانه ..

= ثم الإخبار برضاهم عنه بما آتاهم من البشرى وقذف في قلوبهم من النور بلطيف الوعد والذكرى[٣] فهو كناية عن كثرة إحسانه إليهم- حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم [٤]– تبرز قوة هذا الإحسان وأنه فاق التصور وحصل به الرضا ، فلا تطلع إلى غيره أو المزيد عليه ...

فضلا عما تشي به من اهتمام أكثر بهم عن طريق ما تحمله من دلالة على الحرص الشديد منه تعالى على أن يقدم لهم ما يحقق رضاهم عنه ...

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٩/١١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٣٥/١٦ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر نظم الدرر ٣٧٩/٣.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١٩/١١.

= ثم في اصطفاء التعبير بالفعل (أعد) من الإعداد والتهيئة المؤذن بكمال العناية والكرامة ؛ إذ لا يكون المعد إلا أكمل نوعه[١].

= ثم في تخصيصهم بهذا المعد عن طريق الجار والمجرور (لهم) وما في ذلك من مزيد التكريم والعناية إذ يبين أن هذه الجنات العظيمة معدة لهم خصوصا ومن أجلهم ، فضلا عما تحمله اللام من معنى الملكية والاستحقاق الذي يزيد كن معاني التكريم ...

= ثم في تفصيل المعد لهم ببيان أنه (جنات) جمعا للتكثير ، و نكرة للتعظيم ، فهي جنات كثيرة وعظيمة ، وأنها (تجري تحتها الأنهار) تنبها على عموم ريها وكثرة مائها ، فكل موضع أردته نبع منه ماء فجرى منه نهر [٢]، وهذا ما أفاده نزع الجار منه ، ولعل تخصيص هذا الموضع بذلك ؛ لأنه يخص هذه الأمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ولذلك فلعلها تُخص بجنة هي أعظم الجنان ريا وحسنا وزيا [٣].

= ثم في بيان عدم انقطاع هذا الثواب في (خالدين فيها) الذي يدل على أنهم خالدون مخلدون في هذا النعيم المقيم ، ثم في تأكيد ذلك الخلود بالتأبيد الدال على استغراق المستقبل (أبدا) إشارة إلى أنه بلا انتهاء [٤]..

= ثم في التعقيب على ذلك الثواب الذي أعده ومدحه والثناء عليه بـ (ذلك الفوز العظيم) باصطفاء الإشارة إليه بـ (ذلك) الموضوع للبعيد للدلالة على علو مكانته وارتفاع شأنه ، ثم بالحكم عليه بأنه (الفوز) ووصفه بـ (العظيم) ..

وهذا يتلاقى مع كون المثابين بالأصالة هنا أصحاب رسول الله - ﷺ - ثم من أحسن اتباعهم ، كما يتلاقى مع ما وصفوا به مما يدل على علو مراتبهم ، من سبقهم إلى هذا الدين القيم (السابقون الأولون) سواء كانوا ممن هاجروا وترموا كل ما يملكون فرارا بدينهم ، أو آووا ونصروا رغبة فيما عند ربهم ، أو من اتبعوهم بإحسان وفق ما أمر ربهم ، وهذا

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٩/١١.

(٢) ينظر نظم الدرر ٣٧٩/٣.

(٣) ينظر نظم الدرر ٣٧٩،/٣٨٠.

(٤) ينظر نظم الدرر ٣٨٠/٣، روح البيان للبروسوي ٣٧٢/٣طبع دار إحياء التراث العربي بيروت من دون .

ما يتطلب قوة أكثر في التعبير عن الثواب مدحا لهم وتقديرا لعملهم وحثا على حسن اتباعهم ..

كما يتلاقى مع ما بنيت عليه السورة من البراءة من المشركين والحث على جهادهم ليكون في قوة الثواب وعظمته حض متتابع منسول مما بنيت عليه السورة في سياقها العام والخاص..

*****وأقربها – مواضع الدراسة- إلى موضع التوبة قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الرعد ٢٢-٢٦.**

من حيث إنها – أيضا- ليست في ثواب هؤلاء فقط –المحسنين- وإنما في ثواب أولي الألباب الذين يتصفون بالصفات المذكورة في : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ، و هذا ما يتطلب قوة أكثر في التعبير عن الثواب ؛ مدحا لهم و ترغيبا في هذه الصفات وحضا على التمسك بها ...

ومن حيث قوة الثواب عن طريق بيان أن لهم ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ أي : آخرة الخير[1]، وقصرها عليهم عن طريق تقديم الجار والمجرور (لهم) ، والتعبير في مجازاتهم هنا بـــ

---

(١) وأصلها : الشيء الذي يعقب غيره وإضافتها إلى الدار من إضافة الصفة إلى الموصوف أى: لهم الدار العاقبة أي : الحسنة ينظر التحرير والتنوير ١٢/١٧٦،١٧٧، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

(عقبى الدار) يتلاقى مع ما يقابله في مجازاة الكافرين في قوله: ﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ ٣٥ كما يتلاقى مع شيوع المادة في سياق السورة اللفظي إذ وردت على الترتيب في : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ١١، والآية موضع الدراسة ، و﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ ٣٥، و﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ ٤١، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ ٤٢ .

= ثم توضيح ذلك الخير وتلك العقبى عن طريق البدل ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ بصيغة الجمع (جنات)والتنكير المنبئين عن الكثرة والتعظيم ،ثم إضافتها إلى (عدن) المنبئ عن الاستقرار وطول الإقامة [١] .

= ثم إكرامهم معنويا والتفضل عليهم بجمعهم في دار الكرامة مع من صلح من أصولهم وفروعهم وأزواجهم ، فمن كانت مرتبته دون مراتبهم لحق بهم ، ومن كانت مرتبته فوق مراتبهم لحقوا به فلهم الفضل في الحالين[٢].

= ثم الإخبار بدخول الملائكة عليهم من كل باب مسلمين ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ تحية بالكرامة على انتفاء كل شائب من المضرة، مهنئين ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ زيادة في إكرامهم والتنويه بهم ، لأن تردد رسل الله عليهم أعظم في الفخر، وأكثر في السرور والعز... [٣] .

وهذا ما يؤكده ويزيده تقييد دخول الملائكة عليهم بأنه من كل باب ؛ لأن الإتيان من الأماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الأدب والإكرام [٤]...

---

(١) ينظر نظم الدرر١٤٧/٤، التحرير والتنوير ١٧٧،١٧٦/١٢، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

(٢) وفي ذلك بشرى لمن له سلف أو خلف أو زوج صالح إذ إنه يلحق به في الجنة إكراما له ، ينظر التحرير والتنوير ١٧٧،١٧٦/١٢، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

(٣) ينظر نظم الدرر١٤٧/٤، التحرير والتنوير ١٧٧/١٢، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

(٤) ينظر نظم الدرر١٤٧/٤.

وهذا الإحسان في الثواب يتلاقى مع إحسان المثابين الموصوفين بالتعقل وحسن الصبر وإقامة الشرع ، فضلا عن زيادة الإحسان وقوته ، المفاد من اصطفاء التعبير بمادة (الدرء) التي تنبئ عن قوتهم في دفع وطرد السيئات والمبالغة في إزالتها ، عن طريق العدول عن السيئة بعد العزم ، أو إتباعها الحسنة إذا صدرت من النفس ، وعدم مقابلتها بمثلها بل بالإحسان إن صدرت من الغير، وهذا ما يبرزه بل يؤكده قول الملائكة لهم : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ ﴾ الذي يثبت أن ذلك إنما كان بفضل صبرهم وإحسانهم ...

على أنه أقل قوة من سابقه في موضع التوبة ؛ إذ لم يرد فيه ما ينبئ عن رضا الله عنهم أو رضاهم عنه، أو عن التهيئة والإعداد المفاد من (أعد) ، أو عن جري الأنهار تحتها ، أو الخلود فيها مما يتلاقى مع ورود آية التوبة في سياق الحديث عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله – ﷺ – ودورهم في نصرة الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيل نشره وحمايته بكل السبل ، مع شدة الأمر وصعوبته ؛ لكثرة المشركين وقوتهم وعظيم رياستهم في ذلك الوقت ، فضلا عن المنافقين الذين هم أشد خطرا عليهم من المشركين أنفسهم ، مما اقتضى تلك القوة في الثواب اعترافا بفضلهم ، وإبرازا لما تحملوه في سبيل هذا الدين، وحثا على اتباعهم وحسن الاقتداء بهم ...

أما آية الرعد فهي واردة في سياق مجازاة أهل العقول ممن اتصفوا بما ورد فيها من الصبر وإقامة الشرع والإحسان وغيره مما يعد إحسانا إلا أنه لا يرقى إلى درجة إحسان السابقين من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله – ﷺ – فجاء كل على ما يجب ويناسب ....

***أما المواضع الأخرى فقد خلت من هذا التفصيل الموضح ما أعده الله – تعالى – للمحسنين ، واقتصرت على المضاعفة ، كما في ﴿ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ الأنعام١٦٠،أو الخيرية ﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا ﴾ النمل ٨٩، القصص ٨٤ ، أو الزيادة ﴿ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا ﴾ الشورى٢٣..

ومرجع ذلك ومرده إلى مساقاتها الخاصة التي تدور حول الآخرة ، وذكر أحداث القيامة من المحاسبة والمجازاة على الأعمال ؛ تقريرا لعقيدة البعث ــ وأن الأمر إلى الله يحكم بحكمه العادل ــ التي هي الباعث على الاستقامة [١]..

ولهذا اطرد فيها اقتران (من جاء بالحسنة) ومجازاته بذكر مقابله (من جاء بالسيئة) وجزائه ؛ تقريرا لتلك المحاسبة ، وتأكيدا للمجازاة على الأعمال، ولم يند عن ذلك سوى آية الشورى التي اقتصرت على ذكر مجازاة من يقترف الحسنة ،من دون ذكر ما يقابله ، كما جرى في أخواتها ؛ لأن المقام فيها للبشارة[٢] العظيمة من الله الأعظم ﴿ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ٢٣ التي يقررها خيم الآية بـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ بما يتضمنه لفظ (شكور) من معاني حسن المجازاة ومضاعفتها ، وترك المساءلة على الهفوات تقريرا لما أفاده لفظ (غفور)...

ويلاحظ أنه اطرد فيها جميعها التعبير ب(من) الشرطية للدلالة على توقف المجازاة والإحسان إليهم على إحسانهم وارتباطه به ، فضلا عن الإشارة إلى سرعة وصول هذا الجزاء إليهم تحقيقا وتقريرا لحصوله ، ولهذا جاء الجواب إما بالفاء المعقبة كما في ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ الأنعام١٦٠، ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ النمل ٨٩، القصص ٨٤ ، أو بدون حرف أصلا كما في ﴿ نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ الشورى٢٣؛ إبلاغا في إيصاله إليهم ، تلاقيا مع سياق البشرى ، ولم يند عن ذلك شيء..

كما اطرد فيها التعبير بفعل المجيء (جاء) الذي يضفي على الفعل نية وتعملا وقصدا ، ويشير إلى أن فيه موافاة وجهدا – كما سبق – سواء كان المراد به الموافاة على الحسنة ولقاء الله – تعالى – على ذلك من دون أن تُتبَع بما يُحبطها كالكفر مثلا ، وهو ما يفسر

---

(١) ينظر نظم الدرر٤/٧٥١، ٥/٤٥٥،٤٥٦،٥٢٧،٥٢٨، ٦/٦٢٢، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبيرللجزائري٢/١٤٦، ٤/٤٧مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط الخامسة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م، التحرير والتنوير ٢٠/٥١..

(٢) ينظر نظم الدرر٦/٦٢٥.

اصطفاء (جاء بالحسنة) من دون (فَعَلها) = بناء على أن المجيء على حقيقته والباء للمصاحبة[١] – وهو الأرجح فيما أحسب –...

أو كان المراد به : فَعَل الحسنة على التمثيل عن طريق تشبيه عمله الحسنة بحال المكتسب إذ يخرج يطلب رزقا من وجوهه، أو احتطاب أو صيد فيجيء أهله بشيء ، والمعنى عمل الحسنة [٢]...

ولم يند عن ذلك سوى آية الشورى التي جاء التعبير فيها بالفعل (يقترف) وهو أيضا فيه ما فيه مما يضفي على الفعل نية وقصدا ويبرز قوة وجهدا ، قال البقاعي : " يقترف أي : يكسب ويخالط ويعمل بجد واجتهاد وتعمد وعلاج[٣] ".

وذكر الإمام ابن عاشور أن الاقتراف مبالغة في الكسب، وهو يتلاقى مع سياق البشرى ترغيبا وحثا على الاجتهاد في كسب كل ما يؤدي إليها ...والحسنة : الفعلة ذات الحسن ، صفة مشبهه غلبت في استعمال القرآن والسنة على الطاعة والقربة[٤] ، واللام فيها للعهد الذهني لتشمل كل ما يفعله أو يقوله المسلم من عمل صالح وقول طيب [٥].

وتنكيرها في موضع الشورى إبلاغ في إكرامهم تلاقيا مع سياق البشرى ، حتى كأن فعل أي حسنة مهما صَغُرت أو استترت وخَفيت ، أو لم يتعارف على أنها حسنة يُزاد لهم في ثوابها ويُشكرون عليها ...

وعظم ثواب الإحسان هنا بكونه مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها في الأنعام ١٦٠، أو بخير منها في النمل ٨٩، والقصص ٨٤ يتلاقى مع التعبير في جانب المثاب بما يدل على التعمّل والقصد ، ويبرز الجهد من خلال جعل الإحسان قيدا والتعبير بفعل المجيء ..

---

(١) ينظر الكشف والبيان لأبي إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري ٢٣٠/٧ تح / الشيخ ابن عاشور توثيق أ/ نظير الساعدي ط دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان الأولى ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢م ، التحرير والتنوير ٢٠/٨، ٥٢/١٩٥، ١٩٠، ١٩١،التفسير الميسر ٣٥/٧، ١١٨، الوسيط١/١٥٧٨موقع التفاسير الإلكتروني...

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٩٥/٨، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣٨٤.

(٣) ٦٢٥/٦..

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٨٤/٢٥.

(٥) ينظر التفسير الوسيط١/٣٢٤٢.

كما يتلاقى عظم ثواب الإحسان في الشورى ٢٣ بالزيادة في حسنه مع التعبير – في جانب المثاب – بما يدل على البالغة في الإحسان والجد في كسبه (يقترف) كما سبق ...

واختصاص آية الأنعام بتحديد المضاعفة في الثواب بكونها عَشر أمثال الحسنة يتلاقى مع طابعها الخاص ومنهجها القائم على التحديد الدقيق في كل ما عرضت له خاصة المحرمات ، حيث ذكرت ما حرّم على هذه الأمة من المطعومات تفصيلا في ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... **﴾ ١٤٥، وعلى اليهود الذين تقولوا في ذلك بغير علم ﴿** وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ .... **﴾ ١٤٦، كما فصلت ما حرّم على وجه العموم في: ﴿** قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ.....**﴾ ١٥١،١٥٢..**

كما أن تحديد جزاء من جاء بالحسنة فيها بهذه الدقة عن طريق بيان قدر المضاعفة وكونه بعشر أمثال الحسنة – وهو الموضع الفريد في النظم القرآني كله – يتلاقى مع كونها أول سورة في ترتيب المصحف تحدثت عن مجازاة من جاء بالحسنة [1]، ليعطي لحديثي العهد بالإيمان وغيرهم ممن لم يؤمن بعد مصداقية أقوى في مضاعفة الثواب لمن أحسن عن طريق هذا التحديد الدقيق ببيان مقدار الزيادة في المجازة ؛ ترغيبا في الإحسان وحثا عليه ، حتى لا يظن – وحاشا لله – أنها مجرد وعود قد لا تصل إلى هذا الحد ، وليكون التعميم وبيان أن المجازاة على الحسنة بخير منها– بعد ذلك – أو بالزيادة عليها محمولا – على الأقل – عليها ...، ولاءم ذلك فيها – أيضا – النص على مجازاة السيئ بمثلها ..

---

(١) على أن المراد بالحسنة – كما سبق – كل ما يفعله الإنسان من عمل صالح وقول طيب إلا ما ورد نصّ في مضاعفة ثوابه بأكثر من ذلك كالإنفاق في سبيل الله الوارد في قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦١.

أما التعميم بذكر أن من جاء بالحسنة فله خير منها في النمل فيتلاقى مع منهجها القائم على الإحسان إلى المؤمنين المحسنين وإكرامهم وإجمال ذلك ..يتضح ذلك من الاقتصار في مجازاة المؤمنين على تبشيرهم دون تفصيل أو تحديد لجزائهم في قوله : ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ **﴾**

٣،٢بخلاف الكافرين فقد ذكر أن لهم سوء العذاب في: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ **﴾ ٥،٤ ومن ثم ناسب ذلك تحديد جزاء المسيئين وبيان أنه لا يكون إلا بالمثل..**

كما أنه يتلاقى مع إجمال الحديث عن المحسنين في استثنائهم من الفزع وفي المقابل ذكر فزع غيرهم وإتيانهم داخرين في : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ **﴾** ٨٧.

وفي (القصص) يتلاقى مع قوله ــ في سياقها القبلي القريب ــ:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ **﴾ ٨٣ الذي يبين أن المتقين لهم العاقبة والدار الآخرة إجمالا،كما يتلاقى مع قول الذين أوتوا العلم لمن أراد الدنيا وتمنى أن يُؤتى مثل ما أُوتي قارون:﴿**... وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ **﴾ ٨٠.. ومع زيادة ﴿** وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ **﴾ في النمل وعطفها على ﴿** فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا **﴾ يتلاقى مع قوله – قبلها- : ﴿** وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ **﴾** ٨٧.

فهم آمنون إذا وقعت الأحوال العظيمة الأهوال حتى لا يحزنهم الفزع الأكبر [1]...

---

(١) ينظر نظم الدرر ٤٥٦/٥.

ويناسبه ويلائمه –ـ أيضـا – زيـادة ﴿ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ ٩٠ فـي جـزاء المسيئين...

أما التعبير عن مجازاة السيئة بمثلها فـي النمـل بقولـه : ﴿ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ٩٠وفـي القصـص بـــ : ﴿ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ٨٤الدال على المبالغة في المثلية بحيث يشهد كل من رآه أنه مماثل لأعمـالهم وجار على مقدارها سواء بسواء [١] = فإنه يتلاقى بالتقابل مع التعميم في جزاء المحسـنين عن طريق التعبير بـ ﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا ﴾ الدال على الإطلاق فـي المضـاعفة دفعـا لمظنـة انسحاب ذلك على العقاب ؛ ومن ثم جاء التعبير فيهما بما يـدل علـى أنهـم لا يجـزون إلا بأعمالهم نفسها ، لا – حتى – بأمثالها كما في غيرهما ، وفي غاية القـوة والوكـادة عـن طريق اصطفاء القصر ، بل أقوى طرقه وأصرحها وأكثرها تأكيدا وقوة ...

---

(١) ينظر نظم الدرر ٥/٤٥٦،٥٨٢، التحرير والتنوير ٢٠/١٩١.

المبحث الثالث:التلاؤم بين الإحسان (وصفا) وجزائه الأخروي ومدى ملاءمة ذلك للسياق العام

وقد جاء ذلك في سبعة عشر موضعا هي:

١- **قوله تعالى :** ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **البقرة ٥٨.**

٢- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ **البقرة ١١٢.**

٣- ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **البقرة ١٩٥**

٤- ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **آل عمران ١٣٣،١٣٤**

٥- ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾**آل عمـــــران ١٤٨.**

٦- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة ١٣.**

٧- ﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة ٨٥.**

٨- ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة ٩٥.**

٩- ﴿... إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الأعراف من الآية ٥٦.**

١٠- ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الأعراف ١٦١.**

١١- ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **التوبة ١٢٠.**

١٢- ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **هود ١١٥.**

١٣- ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الحج ٣٧.**

١٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **الأحزاب ٢٨، ٢٩.**

١٥- ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الزمر ٣٣، ٣٤.**

١٦- ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ **الذاريات ١٥،١٦.**

١٧- ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المرسلات ٤١- ٤٤.**

هذه الآيات جميعها جاء الإحسان فيها (وصفا) ، وأول ما يلحظ فيها تنوع الثواب واختلافه تلاؤما مع سياق كل موضع والمعنى الدقيق المراد فيه – كما سيتضح بإذن الله ومشيئته –

إذ جاءت مجازاتهم أو إثابتهم بعدم إضاعة أجرهم في موضعي التوبة١٢٠ وهود ١١٥، وبتبشيرهم في الحج ٣٧ ،وبأن للمحسن أجره في البقرة ١١٢، وبأنه سيزيدهم في البقرة ٥٨، والأعراف ١٦١،وبأن لهم أجرا عظيما في الأحزاب ٢٩، وبالجنة في المائدة٨٥، والذاريات ١٥-١٩، والمرسلات ٤١-٤٤، وأن لهم ما يشاءون في الزمر ٣٣، وبقرب رحمته تعالى منهم في الأعراف ٥٦، وبمحبته لهم في البقرة ١٩٥، آل عمران ١٣٤،١٤٨، والمائدة ٣١،٩٣....

= ومن ثم فقد التزمت في دراسة هذه الآيات منهج التدرج من القوي إلى الأقوى في مجازاة المحسنين – بناء على ما ارتأيت – فجاءت الدراسة كما يلي :

أولا: المجازاة بـ (عدم إضاعة أجرهم).

وقد جاء ذلك في موضعين [1]:

١- قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ..... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **التوبة ,١٢٠**

٢- ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هود ١١٥.

---

(١) هناك مواضع أخرى في القرآن جاءت بإثابة المحسنين بعدم إضاعة الأجر لمنها تتعلق بالدنيا – ومن ثم فهي ليست داخلة في هذه الدراسة المقصورة على دراسة ما يتعلق بثواب الإحسان الأخروي – كما في آيتي سورة يوسف ٥٦،٩٠..

وأول ما قد يطرأ هنا سؤال فحواه : كيف تكون عدم إضاعة الأجر ثوابا يجازى بـه مـن وُسموا بالإحسان ؟.

أقول في الإجابة عليه : إن عدم إضاعة الأجر من أعظم أنواع الإثابة ، وفيهـا إحسـان يلائم إحسان المثاب ممن وسموا بالإحسان ؛ ذلك أن أعمال البشر غير موجبة – عليه تعالى – الثواب والأجر حتى يلزم من تخلفه عنها إضاعة أجرها ، ومن ثم كان التعبير بعدم إضاعة الأجر مبرزا الإثابة والأجر في معرض الأمور الواجبة عليه – سبحانه – عن طريق تصـوير نفيها بصورة ما يمتنع صدوره عنه ؛ إظهارا لكمال نزاهته – عز وعلا ، وفي ذلك إحسـان يلائم إحسان المثاب ...

يقول أبو السعود:" عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر لـيس بإضـاعة حقيقية – كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها – لبيـان كمال نزاهته ــ تعالى – عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره من سبحانه من القبائح ، وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه [١] "

هذا فضلا عن كون المجازاة بعدم إضاعة الأجر– هنا – مطلب سياقي ؛ إذ إن آية التوبة قد جاءت في سياق الحديث عن أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ممـن تخلفـوا عـن الخروج للجهاد مع رسول الله –ﷺ– نهيا وتوبيخا لهم على تخلفهم ، وإلهابا وتهييجا علـى متابعة الخروج بأنفة وحمية [٢] ، وقد كان تخلفهم هذا خوفا من ضياع أمـوالهم ، وحرصـا علـى نفوسـهم ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة٨١.

ومن ثم كان من الأنسب في مقابلة اعتقادهم وبخلهم وحرصهم بيان عدم إضـاعة أجـر هؤلاء المحسنين تلاقيا مع سياقها العام الذي وردت فيه ...

---

(١) الإرشاد ٢٤٦/٤طبع دار التراث العربي بيروت – لبنان ط الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٢) ينظر نظم الدرر ٤٠٠/٣، التحرير والتنوير ٥٥/١١،٥٦.

كما أن السياق الخاص للآية ذكر عدة أشياء تصيب الإنسان بسبب الجهاد في سبيل الله ، وهي قد تُرى صغيرة لا أجر لها ــ كالعطش ، والتعب ، والجوع ، وغيرها ... ــ وأخبر أنه تعالى يجعل كلا من تلك الأعمال عملا صالحا مستقلا بنفسه يترتب عليه أجر جزيل ، وإن لم يقصد به فاعلوه تقربا ؛ إذ هي غالبا تصدر عنهم وهم ذاهلون عنهـا [(١)] ﴿... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ... ﴾ من الآية ١٢٠، والـدليل على ذلك أن الله لا يضيع أجر المحسنين...

أما آية هود ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ١١٥فإن التعبير بعدم إضاعة الأجر فيها يتلاقى ويتلاءم مع قصص الأنبياء الوارد عبر سياق السورة ، إذ يبدو حالهم فـي بداية الأمر أضعف من حال أقوامهم مما قد ينبئ بضياعهم وأعمالهم ومن آمن بهـم ، إلا أن الغلبة والنصرة والفوز في النهاية يكون لهم ولمن آمن بهم ، والضياع للجبارين المستكبرين من أقوامهم ، ومن ثم كان الأنسب بهذا التعبير عن إثابة المحسنين بعدم إضـاعة الأجـر ؛ تأكيدا على أن الله لا يضيع أجر من يستحق الأجر ، فضلا عما يشير إليه من طرف خفي من إحباط عمل من لا يستحق من الكافرين والمسيئين ، بل ضياعهم كليا وأعمالهم بسبب كفرهم وإساءتهم ، وهذا ما حمله القصص المذكور في السياق العام للسورة[(٢)] ...

كما أنه يتلاقى في سياقه الخاص مع النهي عن الركون إلى الذين ظلموا- مما يظن أنـه صغير ، ولا أجر له؛ لأنه ليس بعمل ، وإنما هو اجتنابهم ، أو عدم الانحياز إلـيهم – الـذي بين جـزاءه بقولـه : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود١١٣، بما يضمن أجر من لم يركن إلى الذين ظلمـوا أو

---

(١) ينظر نظم الدرر ٤٠١/٣، التحرير والتنوير ٥٧/١١..

(٢)وهذا ما ينطبق أيضا على آيتي يوسف – وإن كان الجزاء فيهما دنيويا – التي بنيت على تأكيد عدم ضياع الحق وإن بدا ضعيفا فكل ما تعرض له يوسف –عليه السلام – من أنواع المشقات ونُقل إلينا عبر السياق كان يتوهم معه الضياع إلا أن النجاة والفـوز والنصر في النهاية كان له ، ومن ثم كان الأنسب التعبير عن الثواب بعدم الإضاعة تأكيدا للمعنى المستمد من القصة ، والذي هـو غرض السورة الرئيس.. .

ينحاز إليهم – مما قد يتسبب عنه فساد الدين والدنيا نعوذ بالله – بدليل أن الله لا يضيع أجر المحسنين...

ثانيا : المجازاة بالزيادة .

وقد جاء ذلك في موضعين هما :

١- **قوله تعالى :** ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **البقرة ٥٨.**

٢- ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الأعراف ١٦١.**

وسياقهما العام في الحديث عن أحوال وأخبار اليهود ، ومن ثم تشابه التعبير عن جملة الثواب في الموضعين ، فجاء فيهما بالوعد بزيادة المحسنين ، ألا أن جملة الثواب في البقرة جاءت معطوفة على ما قبلها، وجاءت مفصولة في الأعراف ، ومرد ذلك ومرجعه إلى اختلاف السياق الخاص في كلا الموضعين :

فآية البقرة واردة في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل ، وتذكيرهم بها ، إذ يبدأ الخطاب معهم بقوله :

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾٤٧،**ثم يذكر إنعامه عليهم بالنجاة من فرعون ، وعذابه لهم وتنكيله بهم** ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ٤٩، **ثم يذكر عفوه عنهم** ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٥١،٥٢ ، **ثم يذكرهم بنعمة البعث بعد موتهم بالصاعقة** ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴾ ٥٥،٥٦، ثم بتظليل الغمام والمن والسلوى وطيبات الرزق ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ٥٧، ولهذا يلحظ فيها عناية أكثر واهتمام أقوى ببني إسرائيل ، يبدو ذلك جليا في إسناد الفعل (قلنا) بضمير العظمة إلى الله تعالى في مقام التكريم والتشريف والتفضل والخير العام ..

وفي التعبير بما يفيد حدوث النعمة (ادخلوا) الذي يفيد أنهم كانوا خارجها وأتيح لهم دخولها ، كما يشير إلى سرعة تمتعهم بخيراتها ، فهم فور دخولهم القرية يأكلون حيث شاءوا رغدا حيث لا مشقة في ذلك ، هذا ما دل عليه عطف الأكل على الدخول باللام المعقبة..

ثم وصف الأكل بالرغد وهو السعة فكان ذلك أظهر في الإنعام والامتنان[1]، ثم في إيلاء طلبهم المغفرة بها في﴿... وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ... ﴾ وكأنهم عندما يطلبون من الله حط الذنوب عنهم يجابون ، ثم في التعبير بـ (خطايا) على صيغة منتهى الجموع إشارة إلى أنها على كثرتها ستغفر لهم ، قال البقاعي : " ولما كان السياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة[2] "

أما آية الأعراف فسياقها الخاص في تصوير عصيان بني إسرائيل ، والحديث عن إسراعهم إلى الكفر، وتعداد مساوئهم،وتوبيخهم وتوعدهم بالعذاب العاجل والآجل،حيث بدأت بالحديث عنهم بعد الانتقام من فرعون وتوريث ملكه ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ ١٢٨، ثم الحديث عن اتخاذهم العجل ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾١٤٨، وانتهاكهم حرمة الله إذ أخذوا

---

(١) ينظر متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير ٣٤٩(ماجستير) للكاتب نفسه مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.

(٢) نظم الدرر ١٤٢/١.

يصطادون في السبت وقد نهوا عن ذلك ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ .... ﴾ ١٦٣ مما يدل على جهلهم وعصيانهم وإسراعهم إلى الكفر[١] ...

ومن ثم عدل عن الإكرام بالخطاب ونون العظمة وجاء بالفعل (قيل) مبنيا لنا لم يُسم فاعله ؛ إعراضا عنهم ، تلاقيا مع سياق إعراضهم وعصيانهم وإسراعهم إلى الكفر[٢]..

كما جاء التعبير بلفظ (اسكنوا) الدال على التراخي بين دخولهم القرية والقدرة على التمتع بخيراتها بما فيه من معنى طول المدة والمكث وهو ما يناسبه عطف الكل (وكلوا) عليه بالواو ، كما يناسبه عدن ذكر (رغدا) فيها ..

وفصل بين غفران ذنوبهم وطلبهم ذلك بجملة (ادخلوا الباب سجدا) إشارة إلى أن الغفران لا يأتي فورا ، وإنما بعد العبادة والامتثال ...

وجاء التعبير بالجمع السالم (خطيئاتكم) الدال على القلة تلاقيا مع سياق إسراعهم على الكفر[٣] ولهذا كان عطف جملة الثواب (وسنزيد المحسنين) على ما قبلها في البقرة – بما فيه من دلالة على أن هذه الزيادة ثواب آخر بالإضافة إلى النعم المذكورة في السياق التي مُنحوها– يتلاقى مع ما بُني عليه سياقها الخاص من التفضل والعناية والتكريم والإنعام...وكان استئنافها بدون عطف ثمة في الأعراف متلائما مع سياق تعداد مساوئهم وتوعدهم بالعذاب...وهذا ما ذكره ابن الزبير من أن زيادة واو العطف في البقرة ؛ لأن المتقدم قبلها آلآء ونعم عُددت عليهم على التفصيل شيئا بعد شيء فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري على ما تقدم من تعداد آلآء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان لهذا القصد من إحراز التعداد...، أما آية الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة [٤]...

أما اختصاص واصطفاء التعبير عن الثواب ب(سنزيد المحسنين) فإنه يتلاقى مع طبيعة اليهود ويتلاءم مع حالتهم الواردة في السياق أتم الملاءمة ، ذلك أن نفوس اليهود طامعة

---

(١) ينظر متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير ٣٥٠.

(٢) ينظر نظم الدرر٣/١٣٨.

(٣) ينظر نظم الدرر٣/١٤٢.

(٤) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في متشابه النظم من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي ١/٢٠٨،٢٠٧ تح/سعيد الفلاح ط دار الغرب الإسلامي من دون .

متمردة ، دائما ترغب في المزيد ، ولا ترضى بما لديها ، وهذا ما يبدو جليا في السياق ، ولهذا جاء التعبير عن الثواب بما يدل على الإطلاق – بدون تحديد– فعُبّر عنه بالزيادة التي تشمل ثواب الدنيا والآخرة ، لأنهم أهل دنيا يتعلقون بها ..ودخلت السين بما تحمله من معنى الاستقبال على الفعل(نزيد) للدلالة على عدم سرعة الإثابة وتعليق الثواب على الاستقبال ، حثا لهم على مداومة العبادة والطاعة ، وهذا ما يتلاقى ويتلاءم مع سياق توبيخهم على مقابلة نعمه تعالى بالجحود؛ ليحقق لهم الترغيب والترقيب والتطلع إلى ثواب الله بما يضمن استقامتهم ...

ويلحظ هنا أن الثواب الوارد لا يخص اليهود وحدهم ، إذ لم يأت (سنزيدكم ،أو سنزيد المحسنين منكم، أو منهم) مثلا ، وإنما جاء على وجه العموم فشملهم وشمل غيرهم ، وهو ما يوحي بأن الإحسان منهم مشكوك فيه ، وأن المحسنين منهم قلة ، وهذا ما ظهر جليا من أحوالهم التي ذكرها السياق في الموضعين فضلا عن أن السياق سياق توبيخ لهم ....

أما عن ملاءمة الثواب للمثاب فإننا نجد أن من الإحسان في التعبير عن الثواب ما يتلاءم مع التعبير عن المثاب بالوصف (المحسنين)

حيث جاء اصطفاء مادة الزيادة وما فيها من إطلاق وعموم حيث لم تُحدد هذه الزيادة ولم يُذكر مقدارها لتشمل الكثير...ثم التعبير بالمضارع (نزيد) وما فيه من دلالة على تجدد الفعل وتكراره شيئا فشيئا مما يشي بتكرار هذه الزيادة ومضاعفتها فضلا عن عظمتها ... ثم حذف المفعول الثاني للفعل (نزيد) الذي يقوي هذه الزيادة ويجعلها شاملة لكل ثواب ممكن ، لتذهب النفس فيها كل مذهب ، فهي زيادة لا يُعلم حدودها ولا مقدارها ...

وفي ذلك قوة في الثواب في حد ذاته تعكس قوة في التعبير عن إحسان المثاب الذي جاء بالوصف (المحسنين) إلا أنه يلحظ أن هناك ما هو أقوى – في التعبير عن ثواب الإحسان – مما في هذين الموضعين على الرغم من وروده مع طريقة نظم التعبير عن المثاب بصيغة الفعل الماضي – وهي أضعف من الوصف الوارد هنا – وذلك في قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ يونس٢٦ إذ تجد قوة أكثر في التعبير عن الثواب في آية يونس ، يتضح ذلك من خلال كثرة التفصيل في جملة الثواب – في يونس – ، حيث وردت فيها جمل عديدة معطوف بعضها

على بعض – كما نرى في الآية – أما الثواب في البقرة والأعراف فليس كذلك من التفصيل والتعدد ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر نجد القوة الأكثر في التعبير عن الزيادة ذاتها ؛ إذ جاءت في يونس بصيغة المصدر (وزيادة) وفي المصدر قوة أكثر في التعبير عنه في الفعل (سنزيد) ، كما أن الزيادة في يونس جاءت وكأنها للذين أحسنوا بالفعل وليست أمرا مُعلقا على المستقبل أو موقوفا عليه ، هذا ما يؤخذ من اللام في (للذين) بخلاف ما في البقرة والأعراف إذ جاءت الزيادة فهما مُعلقة وموقوفة على المستقبل ..

ومرد ذلك ومرجعه إلى السياق فهو المتحكم الرئيس في طريقة نظم التعبير عن كل من الثواب والمثاب ؛ ذلك أن الثواب في آية يونس يتطلب التعبير عن الثواب والمثاب بهذه الطريقة ؛ أذ جاءت آية الثواب فيها مسبوقة بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ٢٥وهي دعوة عامة شملت جميع الخلق على اختلافهم – المؤمن وغير المؤمن بعد ، والمحسن وغير المحسن بعد – ومن ثم ناسب أن يأتي بعده مباشرة التعبير عن إحسان المثاب بصيغة الفعل الماضي المسند إلى اسم الموصول ، التي تحمل في طياتها الحث على الإسراع إلى الإحسان وتحقيقه ؛ لأن الخص المدعو إلى شيء يطالب بداية بالإسراع إلى هذا الشيء وتحقيقه ويُحث على مجرد ذلك ، ولا يلائمه الحث على التزامه الذي يدل عليه التعبير بالوصف (المحسنين) ؛ لأن هذا- تمكن الإحسان والتزامه – يأتي في مرحلة ثانية بعد الاستجابة لهذه الدعوة..

أما هنا- في يونس – فهو سبحانه وتعالى يدعو الناس عامة من استجاب منهم ومن لم يستجب بعد ، مما جعل اصطفاء التعبير بالماضي – هنا- أنسب ، فهو حث ودعوة إلى مجرد الإسراع إلى الإحسان تلاؤما مع عموم المدعوّين ، والتلطف بهم ، والحرص والتخفيف عليهم والاهتمام الأكثر بهم ، وهذا ما دل عليه الفعل الماضي ، وما لا يمكن أن يؤديه الوصف (المحسنين) أو يتلاءم معه..

أما التعبير بـ (سنزيد) في البقرة فلأن سياقها خاص باليهود وليس عامة الناس ـ كما في يونس- واليهود ـ كما نجد من أوصافهم وأخبارهم وأحوالهم التي سردها السياق – قد غلبت عليهم سمات خاصة ، من الارتداد بعد الإيمان والإساءة بعد الإحسان ، وعدم الرضا

والتطلع ، فهم مضطربون في درجات الإيمان،لا يثبتون فيه ، ودائما يطلبون المزيد ، وهـذا يلائمه التعبير عن إحسان المثاب بالوصف

(المحسنين) لتقرير وتأكيد أن هذا الثواب وهذه الزيادة لمن استمر على الإحسان فصـار من المحسنين وهذا ما لا يمكن أن يؤدى بصيغة الفعل الماضي ، ومن ثم كان التعبير بالصفة أنسب بهذا السياق المبني على حالة بني إسرائيل التي يغلب عليها ضـعف الإيمـان وعـدم الثبات على الإحسان ، ليؤكد لهم ولغيرهم معنى حتمية ولزوم الاسـتمرار علـى الإحسـان تلاؤما مع سياقه ...

وهذا ــ أيضا ــ ما يلائمه مجيء التعبير عن الثواب بالزيـادة ومجـيء التعبيـر عنهـا بصيغة الفعل (سنزيد) المتصل بسين الاستقبال التي تحمل معنى تأجيل هذه الزيادة وارتبـاط وقوعها بالمستقبل ؛ ليكون في ذلك باعث لليهود على الترقب والتطلع لهذا الثـواب وهـذه الزيادة ، وذلك أدوم لرجائهم وخوفهم من الارتداد عن الإحسان والاسـتمرار عليـه ، قبـل الوصول إلى ثوابه المستقبلي ، وأنجع في علاج حالتهم تلك...

وهذا المعنى الدقيق ــ الذي تحمله صيغة التعبير عن الزيادة ــ أنسب وأكثر تلاؤما مـع حال اليهود التي تتطلب التركيز والتأكيد على الرجاء والخوف والتطلع ، وهـذا مـا حققـه التعبير بـ (سنزيد) ولم يكن ليناسب لتعبير بالمصدر الذي يدل على قوة الثواب وعظمته ، و اللام التي تدل على سرعة نيله وتحققه كما في الثواب الوارد فـي آيـة يـونس ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ... ﴾ الواردة في سياق قوة الحث والحض على الإيمان والترقي فيه ، والوصول إلى أعظم الثواب ، وما في ذلك من مزيد العناية والاهتمام مما انعكـس علـى طريقة التعبير عن الثواب ؛ أن جملة الثواب جزء لا يتجزأ من السياق فهي مرتبطة به ، بل منسولة منه ، فهو الذي يشكلها بملابساته ويطبعها بطابعه ، ومن ثم جـاء الثـواب فيهـا يحمل مزيد الحث وقوة الحض عن طريق القوة الأكثر فـي التعبيـر عنـه [1]، فـلاءم كـل سياقه...

ثالثا : المجازاة بالبُشرى .

---

(١) وهذا ما اتضح سابقا في الحديث عن هذا الموضع ص من هذه الدراسة ، وذكره هنا للوقوف على سـبب الاخـتلاف في التعبير عن الزيادة ..

وجاء ذلك في موضع واحد هو قوله – تعالى – : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **الحج ٣٧.**

والتعبير بالبشارة –هنا – مطلب سياقي يتلاقى والحديث عن الحج وشعائره بما تحمله من بشارات عديدة ، قال الإمام البقاعي : " ولما كان الدين لا يقوم إلا بالنذارة والبشارة ، وكان السياق لأجل ما تقدم من شعائر الحج ، ومعالم العج والثج بالبشارة أليق ذكرها...[1]." ، فكما بُشر إبراهيم – عليه السلام – بإتيان الناس إلى بيت الله الحرام ، وكان في بداية بنائه، ولا يوجد بجواره أحد ، فضلا عن وجود أي من مقومات الحياة التي يتوقع معها – على قياس البشر – أن تكون هناك حياة أو يأتي أحد ، وتحققت بشارته ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ **٢٧.**

وبُشّر المخبتين الذين أخلصوا دينهم لله ، وأسلموا وجوههم إليه ﴿ ...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ **٣٤، جاء تبشير المحسنين بثواب الآخرة فضلا عن مدافعة الله عنهم ، وقدرته على نصرتهم ، بل وعدهم بذلك [2] ، ووضعها بين هذه البشارات يضفي عليها قوة ووكادة ، ويخلع عليها سمة التحقق ، فهي جميعها بشارات متتابعة ومتحققة يلائم بعضها بعضا ...**

أما عن ملاءمة الثواب للمثاب – هنا – فإن التعبير بكلمة (بشّر) التي تحمل مل نعاني التفضل والزيادة التي لا يُعلم حدودها يتلاقى ويتلاءم مع قوة التعبير عن الإحسان في جانب المثاب عن طريق مجيئه على صيغة الصفة (المحسنين) وذلك من وجوه :

أولها : أن المأمور بالتبشير مبهم وغير معين أو محدود ؛ ليعم كل من سمعه فهو يستبشر به ويبشر به غيره ...

ثانيها : أن مفعول بشر محذوف ، ومن ثم فالشيء المبشر به مبهم أيضا وغير محدود ، وفي هذا تعظيم وتفخيم له ، وكأنه لفرط عظمته لم يصرح به ولم يذكر في اللفظ...

---

(١) ينظر نظم الدرر ١٥٥/٥،١٥٦.

(٢) كما تشي بذلك الآيات ٣٨-٤٠.

ثالثها : أن في البشرى إطلاق وعموم وشمول يحمل كل معاني التفضل والزيادة يتناسب ويتلاءم مع المثاب وهذا شأن ثواب الإحسان ...

فضلا عن أن المجازاة بالبشرى بما فيها من عموم وإطلاق يتلاقى في سياقه الخاص مع الإطلاق في آثار شعائر الحج الذي سميت باسمه السورة من مثل : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ.... **﴾ ٢٨، ﴿** ...فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ...ۗ **﴾ ٣٠ ﴿...** لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... **﴾ ٣٣... ، ومع الإطلاق – أيضا – في مجازاة الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن ﴿** لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ **﴾ ٥٠، والذين هاجروا في سبيل الله بـ ﴿**...لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ **﴾ ٥٨، و ﴿** لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ...**﴾ ٥٩، حتى وكأن ذلك سمت السورة وطابعها الذي التزمته وطُبعت عليه...**

رابعا : بـ (أن لهم أجرهم)

وجاء ذلك في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ **﴾ البقرة ١١٢.**

وهي واردة في سياق الحديث عن أهل الكتاب ، وإبطال دعواهم الزائفة : أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، كما أخبر ـ سبحانه ـ عنهم في قوله : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ **﴾ ١١١، ومن ثم جاءت ترد عليهم وتبطل دعواهم ـ بعد أن نادت سابقتها عليهم بالكذب : ﴿** إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ **﴾ ـ وتين أن هذا الأجر لمن أحسن من المسلمين منهم وممن سواهم [1]، حيث جاء افتتاحها بكلمة (بلى) التي يجاب بها المنفي**

---

(١) ينظر نظم الدرر١/٢٢٢،٢٢٣.

لإثبات نقيضه ، سواء وقعت بعد استفهام عن نفي[١] ، وهو الغالب ، أو بعد خبر منفي[٢] ، كمال هو هنا ، ومن ثم فهي إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة [٣]..

قال البقاعي : "ولما نادى عليهم بالكذب في قوله:﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أثبت لغيرهم بقوله:﴿ بَلَىٰ ﴾ ما ادعوا الاختصاص به [٤] " .

وأول ما يلحظ فيها الإفراد في التعبير عن المثاب ، وهو مطلب سياقي ــ هنا ــ إذ إن في صيغة الإفراد في التعبير عمن يدخل الجنة أبلغ رد عليهم ، وأقوى مبطل لدعواهم ؛ لأنهم ذكروا أن كونهم من جماعة اليهود أو النصارى يدخلهم الجنة ، وهي ــ صيغة الإفراد ــ تؤكد معنى فردية العمل ، وتَفَرّد كل شخص بعمله وجزائه ، من دون أن يكون للجماعة التي ينتمي إليها شأن في ذلك ، فهي أنسب صيغة لسياقها القائم على إبطال دعواهم والرد عليهم ..

كما أن المعنى الظاهر في التعبير عن الثواب والمعاني المستمدة من خلال التراكيب تحمل في طياتها ما ينقض قولهم ويبطل دعواهم ..

تجد ذلك في الاختصاص المفاد من تقديم المتعلق في ﴿ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [٥].

وفي التعبير بكلمة (أجر) التي تدل على أهمية عمل الفرد الذي يكون ثواب الله العظيم بمثابة أجر يقابله وتحصره في ذلك ، وإذا كان الأمر أجر في مقابل عمل ، فليست الجنة مختصة باليهود والنصارى ، ولا بأي طائفة غيرهما ، وهذا ما يؤكده إضافة كلمة (أجر) إلى ضمير المحسن ﴿ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ ﴾ ، أي : فلكل أجره هو خاصة دون النظر إلى غيره ، تقريرا لتفرد كل بعمله وجزائه ، وهدما لما يدّعون...

---

(١) كما في : ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ القيامة ٣،٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٤/١.

(٣) ينظر الكشاف ٣٠٥/١ تح/ محمد الصادق قمحاوي ط دار المعرفة بيروت ــ لبنان منة دون ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤٧/١ دار المعرفة بيروت ــ لبنان ط الثانية ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

(٤) ينظر نظم الدرر٢٢٢/١.

(٥) ينظر نظم الدرر٢٢٣/١.

كما تجده في ذكر القيد ﴿ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الذي ينصّ على أن مرجع هذا الأجر هو ربه ــ سبحانه ــ وليست اليهودية أو النصرانية = ويبين الفارق الشديد بين اليهود والنصارى الذين اعتمدوا على كونهم هودا أو نصارى في دخول الجنة افتراء ، وبين : ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ الذي توكل على ربه واعتمد عليه فكان ثوابه عنده ...

أما جمع الضمير في ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فقد ذكر البقاعي أنه دفعا لمظنة أن يكون المراد من إفراد الضمير واحدا بعينه ، وعليه تبقى دعوى اليهود والنصارى عدم دخول غيرهم الجنة ، قال : "ولما كان ربما ادّعي أنه ما أفرد الضمير إلا لأن المراد واحدا بعينه ، فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى جمع فقال : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من آت ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على شيء فات[1] ..."

وذكر ابن عاشور لذلك علة لفظية هي أن جمع الضمير اعتبارا بعموم (من)[2]، وإضافة إلى ذلك ــ فيما أحسب ــ أن جمع الضمير أليق بالسياق ، وأكثر ملاءمة له ؛ ذلك لأن اليهود والنصارى ظنوا أن اتحادهم على اليهودية والنصرانية سبب في دخولهم الجنة ، فجاء في مقابل ذلك قوله : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بصيغة الجمع ليدل على توحد أهل الجنة في هاتين الصفتين ــ إبلاغا في أبدية الأمن والسرور ــ ؛ لأن من شأنهما التعدي للجماعة ككل ، فالخوف يعتري الإنسان مما يحيط به هو أو غبره ، ومن ثم يعتري ويصيب الجماعة المحطة به ، وكذا الحزن كفان الأنسب في نفيهما جمع الضمير العائد على المنفي عنهم ، وهذا شأن هاتين الصفتين في القرآن الكريم حيث وردتا أبدا ، ولم يند عن ذلك موضع ويجيء بالإفراد (فلا خوف عليه ولا يحزن) قاطبة ...

أما عن ملاءمة الثواب للمثاب ــ هنا ــ فإننا نجد من الإحسان في التعبير عن الثواب ما يتلاقى ويتلاءم مع التعبير عن المثاب بالوصف (محسن) ..

---

(١) نظم الدرر ٢٢٣/١.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٥/١ .

وأول مظاهر هذا الإحسان : اصطفاء التعبير بلفظ (أجر) بما فيه من دلالة على كمال استحقاق هذا الثواب حتى أصبح كأنه أجر له ، ومن ثم رُبط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامه وجهه لله وإحسانه هو السبب في الإحسان إليه بإثبات نفعه على حسب ما رَبّه به في كل شريعة[1]، وهذا ما يؤكده إضافة الأجر إليه (أجره)..

كما يظهر في التقييد بـ ﴿ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الدال على العظمة والفخامة ، وفي اصطفاء لفظ (رب) وما فيه من معاني الرعاية والتعهد والتلطف والاهتمام وكرم العطاء ...

ثم في إضافته ـ تعالى ـ إليه ـ المحسن ـ وما يشير إليه من التكريم والتشريف والتلطف ، فرقا بين من اعتمد وتوكل عليه ولجأ إليه ، ومن استند على كونه من طائفة أو نُسب إلى جماعة...

ثم في نفي الخوف والحزن عنهم ؛ إبلاغا في أمنهم وسرورهم ..

ويلحظ ـ أيضا ـ هنا أن التعبير عن المثاب جاء بالوصف (محسن) الذي يدل على قوة الإحسان عنه في التعبير بالفعل ، بينما جاء الثواب فيها أقل مما حاء في موضع آل عمران ١٧٢ـ١٧٤،التي نُكّر فيها لفظ (أجر) ووصف بأنه عظيم ، ثم أتبع بما يزيده ـ كما سبق ـ [2] مع أن التعبير عن المثاب فيها جاء بصيغة الفعل الماضي الذي هو أقل قوة في الدلالة على قوة الإحسان من الوصف .

وهذا ما يثير تساؤلا فحواه : أن الأصل أن يقابل التعبير الأقوى عن المثاب وإحسانه ـ وهذا ما يتحقق بصيغة الوصف (محسن) ـ بالتعبير الأقوى عن الثواب وما يعكسه من إحسان أقوى ، ويقابل التعبير الأقل عن المثاب وإحسانه ـ وهو ما يتحقق بصيغة الفعل الماضي كما في آل عمران ـ بالتعبير الأقل في الثواب وما يعكسه من إحسان ، فكيف يكون التعبير عن الثواب مع الوصف ـ كما هو هنا في البقرة ١١٢ـ أقل من التعبير عنه مع الفعل الماضي ـ كما في آل عمران ١٧٢ ؟..

والجواب أن القوة الأكثر في التعبير عن المثاب تقابلها وتلائمها قوة أكثر في التعبيرعن الثواب أن لم يكن في السياق معنى دقيق ينافي ذلك ، كالمعنى المقصود هنا ـ في البقرة ـ

---

(١) ينظر نظم الدرر١/٢٢٣.

(٢) ينظر ص من البحث .

في الثواب الوارد في سياق الحديث عن أهل الكتاب ؛ لأن المعنى الدقيق الذي جعل الثواب يأتي أقل إحسانا مع أن التعبير عن الإحسان جاء أقوى في معنى الإحسان = هو التأكيد على اعتقاد اليهود فضلهم على سائر البشر ، وهو ما أبرزه السياق وركّز عليه عن طريق بيان أنهم يحرفون كلام الله[١] وينبذون كتابه وعهده [٢]، ثم الإخبار بقتلهم من جاء بما لا تهوى أنفسهم من الرسل [٣]، وكفرهم بآيات الله بغيا وحسدا منهم أن يختص الله بفضله من يشاء[٤] ، وعدم رغبتهم والنصارى والمشركين في أن ينزّل الله خيره أو يختص برحمته غيرهم[٥] ، وأخيرا محاولتهم رد المؤمنين كفارا بعد إيمانهم [٦]، ونفيهم أن يدخل الجنة غيرهم[٧] أو ينال الأجر سواهم ، حتى إنهم نفت كل طائفة منهم بعد ذلك أن يكون للأخرى نصيب في أجر الله ــ تعالى ــ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ....﴾ ١١٣، ومن ثم كان غاية الإحسان ومنتهى الإكرام في حق غيرهم أن يكون لهم أجر ، أو يثبت لهم حق في دخول الجنة ، وهذا ما أكده السياق هنا ، بل وبنيت عليه السورة مفتتحا = بتخصيص الفلاح بالمتقين الذين يؤمنون بجميع الرسل ، وكل ما أنزل إليهم ، فضلا عن الإيمان بالغيب ، وإقامة شعائر الدين وشرائعه . [٨].. = ومختتما عن طريق بيان تفرد كل نفس بعملها وجزائها ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ... ﴾ ٢٨٦ بعد إعلان إيمان الرسول -ﷺ- والمؤمنين بالله ، وبكل ما أُنزل من الله وبملائكته وكتبه ورسله ..

---

(١) كما في الآية ٧٥.

(٢) كما في الآيتين ٩٩،١٠٠.

(٣) كما في الآية ٨٧.

(٤) كما في الآية ٩٠.

(٥) كما في الآية ١٠٥..

(٦) كما في الآية ١٠٩

(٧) كما في الآية ١١١.

(٨) كما في الآيات ٢ــ ٥ .

أما آية آل عمران فهي واردة في ساق الحث والحض على الجهاد وخاصة بصحابة رسول الله -ﷺ- وهذا هو المعنى الدقيق الذي استدعى تلك القوة في الثواب فيها كما سبق ....[١]

خامسا : المجازاة بالأجر العظيم .

وقد جاء ذلك في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب ٢٨، ٢٩.

وهي واردة في سياق الحديث عن ثواب المحسنات من نساء النبي -ﷺ- بعد تخييرهن بين الدنيا ومتاعها الزائل وزينتها وبين رضا الله ورسوله وثواب الآخرة ، فأحسنّ ، بل كُنّ عريقات في الإحسان وملازمات له ، واخترن الله ورسوله [٢]. ، ومن ثم جاء التعبير عن الثواب يعج بالإحسان تلاقيا مع عظيم إحسانهن باختيارهن رسول الله ، وإيثارهن ما عند الله على متاع الدنيا وزينتها .

إذ تجد من مظاهر الإحسان في هذا الثواب تأكيد جملة الجزاء بحرف (إن) الذي لم يكن لإزالة التردد هنا ، وإنما لإظهار العناية والاهتمام بهذا الأجر[٣] ...

---

(١) ينظر ص من البحث.

(٢) فقد روي أن النبي -ﷺ- عرض عليهم ذلك وبدأ بعائشة ، وقال لها : إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ، فلما تلا عليها الآية قالت منكرة لتوقفها في الخير : أفي هذا أستأمر أبويّ ؟ فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم عرض ذلك على جميع أزواجه فاقتدين كلهن بعائشة ــ رضي الله عنها ــ ينظر نظم الدرر٦/٤٩٨، ٤٩٩ ،والحديث في الجامع الصغير للشيباني ١/٤٠٠عالم الكتب بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ ، و صحيح البخاري٤/١٧٩٦ ، مسلم ٢/١١٠٣،وسنن ابن ماجة١/٦٦٢،والسنن الكبرى للنسائي ٣/٢٦٠، ٢٦١..

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢١/٣١٧، خلافا لما ذكره البقاعي من أنه جاء مؤكدا تنبيها على أن ما يقوله مما يُقطع به وينبغي تأكيده ، دفعا لظن من يغلب عليه حال البشر فيظن فيه الظنون من أهل النفاق وغيرهم ، أو يعمل عمل من يظن ذلك ، أو يستبعد وقوعه في الدنيا أو الآخرة . ينظر نظم الدرر٦/ ٩٨.

ثم في التصريح بلفظ الجلالة ، وإسناد الإعداد إليه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ ﴾ وما في ذلك من اهتمام أقوى ، وعناية أشد ، وتعظيم أكبر ، فإن هذا الأجر العظيم مُعَدّ ومُهيأ لهم ، والذي أعده وهيأه هو الله تعالى ..

ثم في ذكر الإعداد باصطفاء (أعد) وما فيه من تنويه بهذا الأجر وتأكيد للعناية به..

ثم اصطفاء التعبير بكلمة (أجر) التي تنبئ أن هناك شيئا مأجورا عليه يقابل هذا الأجر ــ وليس كذلك الثواب ــ مما يؤكد الاهتمام بهذا العمل الذي نتج عنه هذا الثواب العظيم ، فصار كأنه أجر يقابل هذا العمل العظيم ؛ لأنه ما دام الأجر عظيما فإن العمل المؤدي إليه عظيم ، وهذا هو حال نساء النبي -ﷺ-اللاتي آثرن الله ورسوله على متاع الدنيا وزينتها فكان عملهم عظيما ، وجاء أجرهم أعظم ... فكل مقام جاء التعبير فيه عن الثواب بلفظ (أجر) كان فيه اهتمام أكثر بالعمل المؤدي لهذا الأجر ...

ثم في إطلاق هذا الأجر المستمد من تنكيره وما فيه من عموم وشمول ، مما جعله يتسع ليشمل كل معاني الثواب دون تحديد مما يشهد بعظمته وفخامته ، التي يزيدها وصفه بأنه (عظيم) " تُحتَقر له الدنيا وكل ما فيها من زينة ونعمة [١] ".. وذلك إحسان آخر على إحسان ؛ لأن الأجر العظيم هو الكبير في الذات الحسن في الصفات، الباقي في الأوقات ، وذلك لأن العظيم في الأجسام لا يطلق إلا على الزائد في الطول وفي العرض وفي العمق ، فإن كان زائدا في الطول فقط يقال له طويل ، ولو كان زائدا في العرض فقط يقال له : عريض ، ولو كان زائدا في العمق فقط يقال له :عميق ، فإذا وجدت الأمور الثلاثة قيل عظيم ، ولهذا يقال : جبل عظم إذا كان عاليا ممتدا في الجهات ، فإن كان مرتفعا فحسب قيل : عال ،وأجر الدنيا في ذاته قليل ، وفي صفاته غير خال عن جهة قبح ؛ لما في مأكوله من الضرر والثقل ، وكذلك في مشروبه وغيره من اللذات ، وغير دائم ، أما أجر الآخرة فهو كثير خال عن جهات القبح دائم[٢]...

---

(١) نظم الدرر٦/ ٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب بتصرف يسير ٢٠٦/٢٥ طبع دار الكتب العلمية طهران ط الثانية من دون .

وبذلك تلاقى وتلاءم الإحسان في الثواب مع كون المثابين أزواج النبي -ﷺ- اللاتي آثرن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها ، واللاتي جاء التعبير عن إحسانهن في السياق بالوصف (المحسنات)..

سادسا : المجازاة بقرب رحمة الله تعالى .

وقد جاء ذلك في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف ٥٥،٥٦.

فقد تفردت هذه الآية المباركة في التعبير عن ثواب المحسنين بقرب رحمة الله منهم وذلك لتفرّد سياقها الخاص الذي تحدّرت منه وكونه في الرجاء ، إذ جاء قوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فاصلة لآية تنهى عن الفساد في الأرض وتأمر بدعاء الله من مقام الجمع بين الخوف والطمع ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ ﴾ والجمع بينهما هو الطريق المستقيم إلى مقام الإحسان ؛ ذلك أن الخوف فيه إبلاغ في الإقرار بهيمنة الحق وقهره ، واعتراف بضعف الخلق وعجزهم عن رد عقابه ، وفي الطمع إبلاغ في الإقرار بالعجز عن الوفاء بحق العطاء الرباني الأقدس ، ومن ثم القطع بنيل ثوابه ، ولهذا فإن الجمع بينهما (الخوف والطمع) ثمرة مشاهدة هيمنة جلال الألوهية ، وفيض جمال الربوبية ، فمن أدركهما استقام أمره ، فكان من المحسنين ، وكان شديد القرب منه سبحانه ، على ما وضحه قوله تعالى ــ في الحديث القدسي ــ : (... ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا [1]...)

وهذا الرجاء المشوب بالخوف والطمع في السياق الخاص انعكس على الثواب الوارد في الآية ، فجاء التعبير عنه يعكس الرجاء والترقب خوفا من زوال هذه الرحمة قبل الحصول عليها ، وطمعا في الفوز بها ، وتطلعا إليها ، حيث عبر بقربها تلاؤما مع سياق الرجاء

---

(١) الحديث في البخاري٦/٢٦٩٤،ومسلم ٤/٢٠٦١، وسنن ابن ماجة ٢/١٢٥٥، واللفظ لهم ، والسنن الكبرى للنسائي٤/٤١٢، وصحيح ابن حبان٢/١٠٠..

المشوب بالخوف والطمع ، ولم يذكر أنها لهم ،أو أنهم فيها ، أو غيرهما مما يدل على قوة التمكن ، ولم يكن ذلك ليناسب سياق الرجاء ...

أما التلاؤم بين الثواب والمثاب ، فإن المتأمل يلحظ في التعبير عن الثواب إحسانا يتلاقى ويتلاءم مع التعبير عن المثاب بالوصف (المحسنين) ، وأول مظاهر هذا الإحسان

الإطلاق المستمد من التعبير ب (رحمة الله) الذي يشمل أعظم الثواب وأكثره ، ويحمل أقوى معاني التلطف والتكريم ، فهو أقوى من ذكر ألوان النعيم المحسوسة ، والتصريح بها..

ثم التصريح بلفظ الجلالة ، وإظهاره في مقام الإضمار﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ ، وإضافة الرحمة إليه سبحانه ، ثم في جعل رحمة الله كلها قريبة من المحسنين ، من دون تبعيض ، فلم يقل مثلا : (من رحمة الله ، أو من رحمته) ، ثم تفخيم هذه الرحمة بتذكير صفتها (قريب) [1] الدال على شدة القرب منه سبحانه على ما أوضحه الحديث القدسي السابق الذكر ؛ لأن التذكير دليل القوة والتأنيث دليل الضعف ، والنظم الحكيم أشار بالتذكير فيما ذُكّر إلى قوة ما جعله مذكرا ، ومن ذلك تذكير الفعل (أخذ) في قصة (ثمود)

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾هود ٦٨ تلاؤما مع طبيعة قوم ثمود، الذين أخبر عن قوتهم ، وأنهم جابوا الصخر بالواد ، وأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين وفارهين ، ومن كانوا كذلك ناسبهم أن يكون أخذهم قويا ، ومن ثم أشار بتذكير الأخذ معهم إليه ، مع أن الفاعل (الصيحة) غير حقيقي التأنيث ، وقد فُصل بينه وبين الفعل بفاصل = وأشار النظم الحكيم بالتأنيث فيما أُنّثَ إلى أنه لم يكن ثمة بهذه الدرجة من القوة ، ومن ذلك تأنيث الفعل (أخذ) نفسه من السورة نفسها في قوله ــ في قصة مدين ــ : ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ ٩٤تجاوبا مع ضعف مدين بالنظر إلى ثمود ، ومن ثم فالتذكير المشير إلى القرب البالغ لرحمة الله ــ تعالى ــ من المحسنين يتلاءم ويتلاقى مع مقام الإحسان الذي ارتقى إليه المحسنون فعلى قدر الارتقاء في مقام الطاعة يكون القرب من رحمة الله ...

---

(١) ينظر نظم الدرر ٣/٤٤.

سابعا : المجازاة بالجنة .

وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع هي :

١ـ قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **المائدة ٨٥.**

٢ـ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ **الذاريات ١٥،١٦.**

٣ـ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **المرسلات ٤١- ٤٤.**

آية المائدة واردة في سياق مدح النصارى الذين أقبلوا على العلم الباطن وأعرضوا عـــن الدنيا ، كما يفهم من قولهم : ﴿ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ **، وتعليل حسن مودتهم بـــ** ﴿ ... ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا ﴾ **، والثناء عليهم يهضم النفس ومجانبة الكبر فـــي** ﴿ وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ ٨٢، **تعظيما لرتبة الصلاح ، وبأن إخلاصهم وحسن تـــوجههم إلـــى الله ، لا لغرض دنيوي سوى معرفة الحـــق** ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ... ﴾ **وطمعهم لا في شيء ســـوى أن يكتـــبهم الله مـــع الشاهدين** ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٨٣، **ويدخلهم في زمرة الصـــالحين** ﴿ ...وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٨٤، **ولهذا عبروا فيهما بـــ (مع) مـــن دون (في)** [1]**...**

ولهذا جاء الثواب ملائما لحالهم إذا ما قورن بحال اليهود وثوابهم ، حيـــث جـــاء ثـــواب النصارى خاصا بثواب الآخرة ــ وهو لا شك أقوى وأعظم من ثواب الـــدنيا مهمـــا كـــان ــ

---

(١) ينظر نظم الدرر ٢/٥٢٣،٥٢٤.

بخلاف ثواب اليهود فهو غير محدد ولا منصوص فيه على الآخرة ؛ لأنهم أهل دنيا يتعلقون بها ...

كما أن الثواب مع اليهود جاء بلفظ الزيادة (سنزيد) ؛ لأن نفوسهم طامعة متمردة دائما تطمع في المزيد ، ولا ترضى بما لديها فكان ذلك ملائما لحالهم ...

أما مع النصارى فجاء بلفظ الإثابة الذي يدل على إكرامهم ويشهد بحسن إخلاصهم ، ويتلاءم مع سياق مدحهم والثناء عليهم ...

ثم إن الثواب مع اليهود عُلّق على المستقبل ، وهذا ما أفاده التعبير بالمضارع وأكدته السين في (سنزيد) مما لا يدل على سرعة الإثابة تلاقيا مع توبيخهم ومقابلتهم نعم الله تعالى بالجحود ... كما يتلاقى مع حالهم وما وُصفوا به من تمرد وسرعة ارتداد عن الحق وعدم ثبات على الإحسان ، ومن ثم كان في تعليق الثواب على الاستقبال ترغيب وترقيب لهم وحث على مداومة العبادة والاستمرار على الطاعة ...

بخلاف النصارى فقد جاء الثواب معهم ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالفاء الدالة على التعقيب وسرعة الإثابة ، وبلفظ الماضي الذي يؤكدها ويحققها ، وكأنها حدثت فعلا لا ستحدث مستقبلا ..

كذلك جاء الثواب مع اليهود عاما ليشمل جميع المحسنين منهم ومن غيرهم ، ولذلك لم يأت (سنزيدكم أو المحسنين منكم أو منهم) تلاقيا مع سياق توبيخهم والغضب عليهم ، ومع أحوالهم المعروفة عنهم ، التي ذكرها السياق ...

بخلاف النصارى الذين جاء الثواب معهم خاصا بهم ، منصوصا فيه عليهم عن طريق وجود الضمير الذي يعود عليهم ، ويخصهم بالإثابة ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ ﴾ ، وإن جاء بعد ذلك بما يشمل المحسنين من غيرهم في ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾إلا أن الثواب بالأساس لهم ، والسياق في الثناء عليهم ، ومدحهم ومجازاتهم، فكان كل على ما يجب ويناسب ..

أما عن التلاؤم بين الثواب والمثاب هنا فنجد أن التعبير عن المثاب جاء بلفظ (المحسنين) وصفا وهو أقوى صيغ الدلالة على الإحسان ، ومن ثم جاء الإحسان في الثواب قويا يتلاءم مع إحسان المثاب ...

ومن مظاهر الإحسان في هذا الثواب التعبير عنه بصريح لفظ الإثابة التي تنبئ عن التكريم والزيادة وسعة العطاء ، فهي تفوق الأجر الذي يكون في مقابل عمل ، وإن لم تكن إلا لمن أحسن العمل ...

ثم في التعبير بلفظ الماضي الذي يؤكد وقوعها ويحققه ، والعطف بالفاء الدال على سرعة إيصالها لهم.

ثم في إسنادها إلى لفظ الجلالة (الله) إشارة إلى تعظيمها وتفخيمها ... ، ثم في ذكر(جنات) بصيغة الجمع الدالة على كثرتها ، وتنكيرها الشاهد بعظمتها وفخامتها ، فضلا عن صفتها ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الدالة على جمالها وحسن متاعها ورفاهتها ، ثم ذكر خلودهم فيها ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ الدال على دوام نعيمها وعدم انقطاعه، كل هذا يتلاءم مع دوام إحسانهم واستمرارهم عليه ، المأخوذ من التعبير عنه بالوصف (المحسنين) ويتلاقى ــ أيضا ــ مع سياق مدحهم والثناء عليهم وذكر جملة من صفاتهم ــ كما سبق ــ ..

أما موضعا الذاريات والمرسلات فهما واردتان في سياق الحديث عن المتقين وجزائهم ، ويلاحظ أن ثواب الإحسان في موضع الذاريات جاء مجملا لا تفصيل فيه ، إذ لم يرد فيه سوى أنهم في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، على ما فيه من دلالة على عظم النعيم وكثرته وشموله لكل خير عن طريق جمع (جنات ، وعيون) الدال على الكثرة فيهما ، ثم في تنكيرهما الذي يشهد بالعظمة والفخامة [(١)]، ومن ثم فهي جنات كثيرة وعظيمة ، لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ، وعيون متعددة فارهة[(٢)] ...

ثم في اصطفاء حرف الظرفية (في) من دون اللام أو الفعل ندخلهم مثلا مما يؤكد حصولهم على هذا النعيم وتمتعهم فعلا به ، عن طريق بيان أنهم فيه ، وأنه ظرف لهم ، قال البقاعي : " أي : بساتين عظيمة نحن داخلها[(٣)] "، ويلحظ أن الظرفية بالنسبة للعيون مجازية تشبيها لكثرة ما حولهم من العيون بإحاطة الظرف لمظروفه ...

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٦.

(٢) ينظر روح المعاني ٧/٢٧ طبع دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.

(٣) نظم الدرر٢٧٤/٧.

كذلك في التعبير بفعل الأخذ الدال على قبولهم كل ما أعطاهم ربهم فضلا عن رضاهم به ، على معنى أن كل ما آتاهم حسنٌ مرض يُتلقى بحسن القبول ؛ لأن الأخذ قبول عن قصد ورضا [١] ، ومن ثم فهو أكمل في جنسه ؛ لأن مدارك الجماعات تختلف في الاستجادة حتى يبلغ الشيء نهاية الجودة ، فيستوي الناس في استجادته ، ويتفقون عليها [٢] ..

واصطفاء صيغة اسم الفاعل(آخذين) للدلالة على تجدد الأخذ واستمرار النعيم فهم في الجنة آخذون متنعمون دائما ...

كما يظهر في العموم المأخوذ من شيوع (ما) وإطلاقه في معرض مدحهم وإظهار منّه تعالى عليهم ؛ليشمل كل أنواع النعيم ،"فهو لا يدع لهم لذة إلا أتحفهم بها فيقبلونها بغاية الرغبة؛ لأنها في غاية النفاسة[٣] ".

ثم في إسناد الإتيان في ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ إلى لفظ (رب) وإضافته إلى ضميرهم مما يدل على عظمة وفخامة ثوابهم ، فضلا عن تكريمهم وتشريفهم ، فهو من عند ربهم القائم على رعايتهم وإمدادهم بالنعيم آتاهم إياه ، وبذلك يتلاقى مع التعبير عن المثاب بالوصف (المحسنين) ...

أما موضع المرسلات فيلحظ فيه تعددا وتنوعا في نعيم المحسنين

حيث الظلال والعيون ، والفواكه التي يشتهون ، وكلها بصيغة الجمع والتنكير مما يشهد بعظمتها وفخامتها ، ويدل على تنوعها وكثرتها ..

ثم الأمر بالأكل والشرب والدعاء لهم بالخير﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ على سبيل الامتنان والتكريم والتشريف ، فالمقصود من هذا القول كرامتهم بعرض تناول النعيم عليهم كما يفعله المُضيف بضيوفه[٤] ، فضلا عن إكرامهم بجعل ذلك الإنعام حقا لهم[٥] ..

---

(١) ينظر روح المعاني ٧/٢٧ طبع دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٦.

(٣) نظم الدرر٢٧٤/٧.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٤٤٣/٢٩.

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٤٤٤/٢٩.

وهذا ما يتلاقى مع التعبير عن المثاب بالوصف (المحسنين) ، ومن ثم جاء الثواب أقوى مما ورد مع الذين آمنوا ، الذين أُفرد معهم الظل في ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا **﴾ النساء ٥٧، وإن وُصف بأنه ظليل ، وأُفردت معهم الفواكه ــ أيضا ــ كما في ﴿** وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ....وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ **﴾ الطور ٢١،٢٢، وفي ﴿** لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ **﴾ الزخرف ٧٣ ، وإن وصفت بالكثرة.**

وأقوى ــ كذلك ــ مما ورد مع المتقين الذين يطلبون هم الفاكهة كما في ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ **﴾ ص ٥١، وفي ﴿** يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ **﴾ الدخان ٥٥،ومن أصحاب الجنة الذين أفردت ــ أيضا ــ معهم الفاكهة،وإن جمعت الظلال﴿** إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ **﴾يس٥٥ــ ٥٧.**

أما عن التلاؤم بين الثواب والمثاب في الموضعين ، فإن المتأمل يلحظ أن الاختلاف في الإجمال والتفصيل ، وتبادل الكلمات مطلب سياقي يتلاقى ويتلاءم في خصوصيته وكل موضع ...

فالإجمال في الذاريات هو ديدن السورة وطابعها الخاص الذي سلكته في معالجة ما عرضت له بدءً وخاتمةً .. يبدو هذا في الحديث عن جزاء الخرّاصين ، وإجماله في قوله:﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ **﴾١٣من دون عرض ألوان عذابهم اللهم سوى الاستهزاء بهم في قوله ــ بعدها ــ : ﴿** ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ **﴾ ١٤= وخاتمة في**

الحديث عن جزاء الظالمين ، وإجماله في نهايتها ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ ٨٩،٩٠..

كذلك في الحديث عن آيات الله في الكون إذ أجملت ذلك في آيتين قصيرتين هما : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢٠،٢١.

حتى في قصصها غلب عليها الإجمال الدال على ما يحمله من معان غزيرة ، ومن ثم تلاءم مع ذلك الإجمال في ثواب المحسنين ...

أما التفصيل في المرسلات فيتلاقى مع طابعها الذي سلكته في معالجة قضاياها التي عرضت لها ، والتي تتسم بالتفصيل بدءً بذكر مشاهد تهدّم الكون ــ التي تحقق الوعد بالقيامة ، توضيحا لقوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ ٧، التي لم توضّح نظيرتها ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ ٨ في الذاريات ــ من طمس النجوم ، وتشقق السماء ، ونسف الجبال [١] ، ثم تفصيل مراحل الخلق[٢] فضلا عن التفصيل في جزاء المجرمين الذين ذُكر جزاء المحسنين في مقابل جزائهم ؛ إذ جاء مفصلا بدءً من قوله : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ ٢٩ ــ ٣٤، ثم ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ٣٥،٣٦، فضلا عن تكرار﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ فيها عشر مرات ... وبهذا يتلاقى التفصيل هنا ويتلاءم مع طابع السورة ، وما وسمت به في معالجة ما عرضت له أتم الملاءمة ...

أما التعبير بلفظ (جنات) في الذاريات في جزاء المحسنين فإنه يتلاقى مع التعبير بـ (النار) في مجازاة الكافرين في ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ ١٣؛ إذ الجنة في الثواب تقابل النار في العقاب ، ومن ثم يتضح الفرق الشاسع بين الحالتين..

---

(١) في الآيات ٨ ــ ١٠ .

(٢) في الآيات ٢٠ ــ ٢٣ .

أما التعبير بلفظ (ظلال) في المرسلات فإنه يتلاقى مع التعبير في جانب المجرمين بقوله: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ ٣٠،٣١ .

كما أن زيادة : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ٤٣تتلاقى مع أمر الكفار بالتمتع على سبيل الإهانة والتبكيت والتوبيخ والتقريع في : ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴾ ٤٦، ومن ثم كان كل وصف في كل ثواب ــ فضلا عن الثواب نفسه ــ ملائما أتم الملاءمة ومناسبا للغرض الذي جاء من أجله، والسياق الذي ورد فيه...

ثامنا : المجازاة بأن لهم ما يشاءون .

وقد جاء ذلك في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الزمر ٣٣،٣٤..

وقد تفرد هذا الموضع بمجيء ثواب الإحسان فيه مسندا إلى مشيئتهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ للدلالة على سعة ما يعطونه ــ محسوسا ومعقولا، ماديا ومعنويا ــ ،أي: يحقق لهم كل ما يتمنون ، ويعطيهم كل ما يطلبون في الجنة ، على حد قوله ــ وصفها ــ ﴿.... وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ...﴾ الزخرف ٧١ .

وذلك لتفرد سياقها الخاص وكونه في الحديث عن رسول الله -ﷺ- ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ وأصحابه ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ قال البقاعي : " وهذا الفريق هو الرسل وأتباعهم ، ولذلك حصر التقوى فيهم مشيرا بالجمع إلى عظمتهم وإن كانوا قليلا ... [1]"، وقال ابن عاشور : "الذي جاء بالصدق هو محمد -ﷺ- والصدق هو القرآن ... ، وضمير (به) يجوز أن يعود على الصدق ويجوز أن يعود على الذي جاء بالصدق ، والتصديق بكليهما متلازم ،

---

(١) نظم الدرر ٤٤٧/٦.

وإذ قد كان المصدقون بالقرآن ، أو بالنبي -ﷺ- من ثبت له هذا الوصف كان مرادا به أصحاب محمد -ﷺ- ... [١]".

وهذا ما انعكس على طريقة التعبير عن الثواب الوارد معه كامل الانعكاس ؛ إذ جاء بتفويضهم المطلق في اختيار نعيمهم ، تزكية لهم ، وثقة في رجاحة عقولهم ، وإبلاغا في إكرامهم ، ووعدا بتحقيق رغباتهم ، والتزاما بتنفيذ مشيئتهم ...

أما عن ملاءمة الثواب للمثاب فإننا نجد من الإحسان في التعبير عن الثواب ما يتلاقى ويتلاءم مع التعبير عن المثاب (المحسنين) وكونهم الرسول -ﷺ- وأصحابه ..

حيث الإطلاق والعموم المستمد من إسناد الأمر في مجازاتهم إلى مشيئتهم أنفسهم ، وبلا استثناء ، مما يحمل من معاني التلطف والتكريم والإثابة أعظمها ، ومن ثم فهو أقوى من ذكر ألوان النعيم المحسوسة والتصريح بها وتحديدها أو قصرها على شيء معين ...

وهذا العموم في الثواب يتلاقى مع إطلاق أجر المحسنين ــ الموصوفين بالصابرين ــ الوارد فيها ، وذكر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب في:﴿ ...إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر ١٠، وكأن ذلك طابعها المُمَيّز لها ، كما يتلاقى مع مجازاة من أنابوا بالبشرى في : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ١٧ومع الإطلاق والتعميم ــ أيضا ــ في قوله ــ بعدها ــ: ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ٣٥، ومع ذكر نجاة الذين اتقوا ، ونفي السوء والخوف عنهم ، من دون بيان أو تحديد ثوابهم في : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦١، ومع ذكر سوقهم إلى الجنة جماعات ، وفتح أبوابها ، وتسليم الملائكة عليهم من دون ذكر أنواع النعيم في:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ٧٣ .

---

(١) التحرير والتنوير ٨،٨/٢٤ ..

كما نجد الإحسان في التعبير بالمضارع (يشاءون) الذي ينبئ عن تجدد مشيئتهم ، وتجدد تحقيقها لهم ، إشارة إلى أنهم كلما أرادوا شيئا وُهبوه ، ونفي توقف ذلك عند أول مرة ...

ويزداد الإحسان في الثواب ببيان كونه (عند ربهم) وباصطفاء لفظ (رب) إيماء إلى أنه عطاء الربوبية والإيثار بالخير[١] فهو المحسن إليهم اللطيف بهم [٢]، وبإضافتهم إليه تشريفا وتعظيما وتكريما ...

ثم بالإشارة إليه بـ (ذلك) الموضوع للبعيد، أي:الثواب الكبير؛ لتضمنه تعظيما لشأن المشار إليه [٣]...

أما عن سر اصطفاء التعبير عن إثابتهم ومجازاتهم والإحسان إليهم في هذا الموضع بـ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ واختصاصه به ، فإنه يتلاقى مع قوله في خاتمتها: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ ٧٤، الذي يبين فيه أنهم يحمدون ربهم على تحقيق ما وعدهم من تفويض في اختيار نعيمهم وأن لهم ما يشاءون وتجدد ذلك حيث أرادوا ، كما ينبئ عن ذلك التعبير بالمضارع (نتبوأ ، نشاء) تلاقيا مع التعبير بالمضارع في ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ ، والتعبير بـ (حيث) الذي يشير إلى مطلق حريتهم في تحديد الزمان والمكان ، ومن ثم يتلاقى مع الإطلاق المُفاد من ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ ومع التعبير بالمضارع فيه أيضا ...

تاسعا : المجازاة بمحبة الله تعالى .

وقد جاء ذلك في خمسة مواضع هي :

١ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة ١٩٥.

---

(١) التحرير والتنوير ٩/٢٤ .

(٢) نظم الدرر ٤٤٧/٦.

(٣) التحرير والتنوير ٩/٢٤ .

٢ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **آل عمران ١٣٤.**

٣ـ ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **آل عمران ١٤٨,**

٤ـ ﴿.... فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة ١٣,**

٥ـ ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة ٩٣.**

وفي مجيء التعبير عن ثواب الإحسان فيها بحب الله ــ تعالى ــ للمحسنين إحسان يلائم إحسان المثاب ممن وُسموا بالإحسان ؛ لأن محبة الله ــ تعالى ــ للعبد أعظم درجات الثواب إذ هي عبارة عن رضا الله ــ تعالى ــ عنه ، وإرادته الخير به [١] فهي مبدأ كل سعادة ، وغاية ما يطلبه الناس ؛ لأنها سبب الصلاح في الدنيا والآخرة .. [٢] ، بل إنها أقوى وأشمل من الرضا وإرادة الخير ؛ لأن المرضيّ عنه والمراد به الخير قد لا يكون محبوبا ، بخلاف المحبوب فلا يكون إلا مرضيّا عنه ومُرادا به الخير ، ولهذا قال الإمام البقاعي ــ في معنى ﴿ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ــ : "يفعل معهم كل ما يفعله المحب مع من يحبه من الإكرام والإعلاء والنصر والإغناء ، وغير ذلك من جميع ما يحتاجه [٣] " .

ومما يؤكد هذا الإحسان :

اصطفاء صيغة المضارع (يحب) الدالة على استمرار هذا الحب وتجدده ، ثم إسناده إلى لفظ الجلالة (الله) وبناؤه عليه ؛ إبلاغا في الدلالة على عظمته المنسولة من عظمة ما أسند

---

(١) ينظر التفسير الكبير ٩/ ٨.

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ١/ ٧٩، التحرير والتنوير ٢/ ٢١٦ .

(٣) نظم الدرر ١/ ٣٦٨.

إليه ، ومن ثم فالتعبير بمحبة الله للمحسنين هي الأكثر قوة في معنى الإحسان ؛ إذ ليس بعد حب الله للإنسان مطمع ، وبهذا تحققت الملاءمة في التعبير بين الثواب والمثاب ..

أما عن التلاؤم بين الثواب والسياق في هذه الآيات ، فإن المتأمل يلحظ أن التعبير عن الثواب بمحبة الله ــ تعالى ــ هنا مطلب سياقي يتلاقى في آيات البقرة ١٩٥، وآل عمران ١٣٤، ١٤٨، مع الحديث عن الجهاد الذي قد يُعوّق أمره حب الإنسان لماله الذي ينفقه في سبيل الله ، والذي لا بد منه في إعداد مستلزمات الجهاد = أو حبه لأهله وأرضه وسائر ممتلكاته ، مما قد يحول بين المرء والجهاد ، ومن ثم جاء التعبير ــ هنا ــ عن الثواب بمحبة الله ــ تعالى ــ لهؤلاء المحسنين المجاهدين ــ الذين آثروه على كل ما سواه مما قد يحول بينهم ونين الجهاد ــ مما ينبئ عن عظيم حبهم له ويتلاقى معه ــ فهذا من ذاك ــ ؛ ليكون في ذلك أقوى حث وأعظم حض على المسارعة إلى إيثار حب الله ــ تعالى ــ والجهاد في سبيله ؛ لنيل هذه المرتبة العظمى دون النظر إلى أي شيء آخر ؛ لأن الإنسان إذا أحب الله آثره عما سواه ، كان ذلك باعثه على الجهاد في سبيله ، والتضحية بكل ما سواه ، وإذا أُخبر صراحة بأن الله يحبه ، كان ذلك أقوى باعث على الجهاد ، ومن ثم كان أقوى ملائم للسياق ...

أما آيتا المائدة ١٣، ٩٣، فسياقهما العام سياق تشريع قائم على بيان المحرمات والمباحات ، وتحديد مسار المعاملات بين المسلمين وبعضهم ، وبينهم وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين ، وهذا ما يتطلب التعبير عن الثواب معه بطريقة أقوى ، ليكون في ذلك ــ قوة الثواب ــ حث أقوى ، وحض أشد على الامتثال والالتزام بهذه التشريعات ، ولهذا جاء التعبير عن المثاب بالوصف (المحسنين) وعن الثواب بـ (محبة الله تعالى) ..

فضلا عن كون السياق حافلا بما يدعوا إلى المحبة ونبذ العداوة والمخاصمة والنهي عن أسبابهما ، من مثل: ﴿ ...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ.... ﴾ ٢،و﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ .... ﴾ ٨ ، ثم النهي عن القتل والفساد في الأرض ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا... ﴾ ٣٢، **وعن الحرابة** ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ٣٣،

والسرقة ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٣٨، **وغير ذلك مما يناقض المحبة أو ينقصها... وفي أثناء ذلك النعي على أهل الكتاب :**

اليهود بقسوة قلوبهم ونقض المواثيق والخيانة : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ...﴾ ١٣ **والمسارعة في الإثم والعدوان** ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ٦٢، **والعداوة والبغضاء والسعي بالإفساد** ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ٦٤.

والنصارى بالعداوة والبغضاء فيما بينهم ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ ١٤..

وهما معا ــ اليهود والنصارى ــ بزعمهم أنهم أبناء الله وأحبّاؤه ، والرد عليهم في ذلك في ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ... ﴾ ١٨، ومن ثم كان التعبير عن جزاء المحسنين بمحبة الله فيها أنسب بما حفل به السياق مما يدعو إلى المحبة ويحض عليها ، وينهى عن العداوة والمباغضة والمخاصمة وما يدعو إليها ...

فضلا عن كونه يتلاقى بالتقابل مع ادعائهم محبة الله لهم ، عن طريق بيان أن من يحبهم الله هم المحسنون لا غيرهم ممن ينتمون إلى مرجعية أو طائفية ...

ويلحظ هنا أيضا أن التعبير عن حب الله للمحسنين جاء مؤكدا في قوله : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة ١٩٥، وقوله : ﴿.... فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة ١٣، الذين افتتحا بصيغة الأمر؛ تعليلا للأمر، وحثا على الامتثال به، وإغراءً عليه ؛ وذلك لأن الأمر يلائمه التأكيد ؛ لأن النفس إذا أُمرت كانت في حاجة إلى حث ودفع إلى للاستجابة إلى هذا الأمر ، ومن ثم جاء التأكيد في الثواب ليحقق المبالغة في تقوية حب الله ــ تعالى ــ للمحسنين مما يدفع بقوة ويحث على فعل المأمور به قِبَله مباشرة ، ويرغب فيه ــ والله تعالى أعلى وأعلم ــ ...

الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبتوفيه ترفع الدرجات حمداً يوافى نعمـــه ويكـــافئ مزيده ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين .أما بعـــد ،،

فقد وصل البحث إلى نهايته ، وعالج الموضوع قدر الإمكان، على ما وفق الله وأعـــان ، وعلى ما سمحت به الهمة وأسعف الجهد، ومن ثم آن للقلم أن يقف وقفة المحصـــل لنتـــاج عمله وسعيه، ليبرز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي تتمثل فيما يلي:

١ــ أن السمة الغالبة في التعبير عن ثواب الإحسان في النظم الحكيم هـــي الإطـــلاق ؛إذ يأتي التعبير عنه بألفاظ مطلقة تشمل وتعم كل ألوان الثواب التي تتخيلها العقـــول وتتمناهـــا القلوب ، من مثل التعبير بأن للذين أحسنوا أو المحســـنين أجـــرهم ، أو أجـــر عظـــيم ، أو الحسنى أو الزيادة ، أو عدم إضاعة الأجر،أو البشرى ،أو ما يشاءون ، أو قرب رحمـــة الله تعالى ،أو بمحبته ، أو التعبير بأن لمن جاء بالحسنة خير منها...،وهذا يلائم أهل الإحسان ؛ لأنهم أكمل من غيرهم وأقوى في الإحسان ، وهذا الإطلاق والشمول في مجازاتهم يتحقق به معنى الإحسان إليهم...

واصطفاء كل في موضعه يلائم ــ أتم الملاءمة ــ سياقه ــ كما اتضح ــ في كل موضـــع ــ أثناء هذه الدراسة .. ، كما أن ما خالف ذلك ــ بأن جاء الثواب فيـــه مُفصّـــلا أو مُبَيّنـــا ومُعَقّبا بما يبين أجزاء هذا الثواب ومفرداته ، كما في (آل عمران ١٧٢ـــــ١٧٤، والتوبـــة ١٠٠، والرعد ٢٣،٢٤، الكهف٣٠،٣١) ــ جاء ملائما ــ أيضا ــ لســـياقه الـــذي تطلـــب واقتضى هذا البيان وذلك التفصيل؛ لينبئ عن معنى دقيق دار عليه هذا السياق ...

٢ــ أن الأصل بناء على مفهوم التلاؤم بين الثواب والمثاب أن يأتي الثـــواب قويـــا مـــع طريقة التعبير عن المثاب القوية ، وأقوى مع الأقوى ، وأكثر قوة مع الأكثر قـــوة ، فيكـــون ثواب (المحسنين) أكثر قوة من ثواب (من جاء بالحسنة) وثوابهم أكثر قوة من ثواب (الذين أحسنوا) ؛ لأن التعبير بالإحسان (وصفا)أكثر قوة في الدلالة على تمكن الإحسان عنـــه مـــن التعبير به (قيدا)، وهو أقوى من التعبير به (فعلا) ..

وهذا ما تحقق في بعض المواضع = فتجد ثواب (الذين أحسنوا) في النجم ٣١بالحسنى ، و(من جاء بالحسنة) بالمضاعفة ، أو الخيرية أو الزيادة ،أو ما هو أقوى من ذلك كمـــا فـــي

آية التوبة ١٠٠، و(المحسنين) بالإطلاق الذي يدل على العِظَم كالبشرى أو الأجر موصوفا بأنه من عند الله ، أو بأنه عظيم أو بقرب رحمة الله ــ على ما تبين في موضع الحديث عنه ــ ، أو بمحبته ــ سبحانه ــ ...

= وخالفه بعضها ، فجاء ثواب (الذين أحسنوا) أقوى من ثواب (من جاء بالحسنة) ومن (المحسنين) ومرد ذلك ــ فيما تكشّف لي بعد السياق ــ إلى أمرين :

أولهما : أن يكون المراد بــ المثابين طائفة خاصة يزيد إحسانهم عن غيرهم ، أو يوصف بالاضطراب ، ومن ثم يكون الثواب أقوى مع من زاد إحسانهم وإن كان التعبير عنهم بالصيغة الأقل = وهذا ما حدث في موضع آل عمران١٧٢ــ ١٧٤، حيث جاء التعبير فيه عن المثاب بصيغة الفعل (الذين أحسنوا) ــ وهي أقل الصيغ دلالة على الإحسان ــ على ما سبق ــ وجاء الثواب معها الأكثر قوة ؛ وذلك لأن المراد بــ (الذين أحسنوا) فيها صحابة رسول الله ــ رضوان الله عليهم ــ بدلالة السياق ، وهذا ما أكده مجموع صفاتهم (المؤمنين – الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح –الذين أحسنوا – اتقوا– الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا – قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فيه (١) ، وجاء إحسانهم فيها بصيغة الفعل الماضي ؛ لتأكيد سبقهم غيرهم فيه ، لا لبيان أنه ما زال فعلا من أفعالهم لما يصر بعد صفة فيهم ، لما اشتهر عنهم من قوة الإيمان وتمكن الإحسان ،وهذا ما ناسبه أن يكون الثواب فيها أكثر قوة من غيرها ــ كما سبق ــ (٢)

= ويضعف مع من وُصف إحسانهم بالاضطراب وإن كان التعبير عنهم بالصيغة الأكثر قوة ، وهذا ما حدث في آية الأعراف ١٦١، حيث جاء التعبير فيها عن المثاب بالوصف (المحسنين) ــ وهي الأكثر قوة ــ بينما جاء الثواب أقل قوة ؛ وذلك لأن المراد بـــ (المحسنين): اليهود على ما اشتهر عنهم من اضطراب في درجات الإيمان والإحسان وعدم ثباتهم عليه وسرعة ارتدادهم عنه ، وهذا ما أكده ــ أيضا ــ السياق ، ومن ثم جاء ثوابهم أقل من الثواب الوارد مع الذين أحسنوا...

---

(١) ينظر ص ٨ من البحث .

(٢) ينظر ص ٨ وما بعدها من البحث .

ثانيهما : أن يكون في السياق معنى دقيق يتطلب التعبير عن الثواب بطريقة أقل مع مجيء المثاب وإحسانه بطريقة أقوى أو العكس ، وهذا ما حدث في آية الأعراف ١٦١الواردة في سياق الحديث عن اليهود إذ جاء التعبير عن إحسانهم بالوصف (المحسنين) وجاء ثوابهم أقل مما ورد في آل عمران١٧٢ــ١٧٤ مع أن التعبير عنه فيها جاء بالفعل (أحسنوا) ، والمعنى الدقيق في الأعراف هو أن حالة اليهود البارزة من خلال التعبير عنهم في السياق تتطلب التأكيد أكثر على استمرارية الإحسان ودوامه وتمكنه ، تلاؤما مع طبيعتهم التي لا يتناسب معها التعبير عن الإحسان بصيغة المضي ؛ لعدم سبقهم إليه ولا حرصهم عليه ، ومن ثم جاء الثواب معهم مُعلقا على الاستقبال(سنزيد) دون القطع بأنه لهم ؛ ترغيبا وترقيبا وحثا على مداومة الطاعة ولزوم العبادة، تلاقيا مع سياق توبيخهم بسرعة ارتدادهم ، ومقابلتهم نعم الله تعالى بالجحود.. (١)

أما موضع آل عمران التي جاء التعبير فيه عن المثاب بطريقة أقل وجاء الثواب أكثر قوة ، فإن المعنى الدقيق الذي تطلب ذلك هو أن الآيات وردت في سياق الحث على الجهاد وجهاد من نوع خاص سُبق بهزيمة شديدة الوقع على نفوس المؤمنين عبر عنها السياق بـ (القرح) فضلا عن كونهم قلة فقيرة يواجهون كثرة كاثرة غنية بالعتاد والعدد ، ومدح هؤلاء المجاهدين ، ومن ثم كان في قوة الثواب فيها حث وحض ثان عليه ، ولم يكن ليناسب أن يكون الثواب هنا أقل قوة .. (٢).

وأخيرا أرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى ، و أن يتقبله بقبول حسن ، وأن يجزيني عنه خير الجزاء ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

---

(١) ينظر ص من البحث .

(٢) ينظر ص من البحث .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

ـ الإتحاف في الرد على الصحاف لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل شيخ دار العاصمة ط الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

ـ الإرشاد (تفسير أبي السعود) دار إحياء التراث العربي من دون ، طبع دار التراث العربي بيروت – لبنان ط الثانية ١٤١١هـ_ ١٩٩٠م.

ـ الإسلام أصوله ومبادئه محمد عبدالله صالح السحيم الناشر وزارة الشئون الإسلامية السعودية ١٤٢١هـ

ـ أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ـ والدعوة والإرشاد السعودية ط الأولى ١٤٢١هـ .

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي دار المعرفة بيروت ـ لبنان ط الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .ـ

ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط الخامسة ١٤٢٤هـ٢٠٠٢م .

ـ البحر المحيط تح/عادل أحمد عبد الموجود وآخرين دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م

ـ البديع في ضوء أساليب القرآن د عبد الفتاح لاشين طبع دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

ـ تاج العروس للزبيدي تح /مجموعة من المحققين ـ دار الهداية من دون .

ـ التحرير والتنوير مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

ـ تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير تصدير أ.د محمد بن شريفة عضو أكاديمية المملكة المغربية ، تح/ محمادي عبد السلام الخياطي أستاذ بكلية أصول الدين تطوان .

ـ التعريفات للقاضي الجرجاني تح / إبراهيم الأبياري مط دار الكتاب العربي بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ

ـ التفسير الكبير دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠م .

ـ تهذيب اللغة للأزهري تح/ محمد عوض مرعب مط دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى٢٠٠١م.

ـ التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبد الرؤوف المناوي تح / د محمد رضوان الداية مط دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٤١٠هـ .

ـ الجامع الصحيح للترمذي تح/أحمدمحمد شاكر وآخرين ط دار إحياء التراث العربي بيروت من دون .

ـ الجامع الصغير للشيباني عالم الكتب بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ .

ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي دار المعرفة بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ .

ـ جمهرة اللغة لابن دريد، الصحاح للجوهري موقع الوراق الإلكتروني ، لسان العرب لابن منظور ط دار الفكر – بيروت – الأولى ١٩٩٧م .

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / السيد أحمد الهاشمي ضبط وتدقيق وتوثيق د / يوسف الصميلي المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ط الأولى ١٩٩٩م.

ـ حاشية السيد الشريف على المطول قراءة وتعليق د/ رشيد أعرضي طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م.

ـ دروس البلاغة لتلامذة التجهيزية حفني أفندي ناصف ومحمد أفندي دياب وسلطان أفندي محمد والشيخ مصطفى طموم المطبعة الأميرية الكبرى بولاق ط الرابعة ١٤١٧هـ ـ١٨٩٩م.

ـ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لعبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري تح / حسن هاني فحص مط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط الأولى ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م .

ـ دلائل الإعجاز تح/الشيخ شاكر ط المدني جدة.

ـ روح البيان للبروسوي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت من دون .

ـ روح المعاني طبع دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ سنن ابن ماجة تح / محمد فؤاد عبد الباقي مط دار الفكر بيروت من دون

ـ السنن الكبرى للنسائي تح/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن مط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١١هـ _ ١٩٩١م .

ـ صحيح البخاري تح/د مصطفى ديب البغا مط دار ابن كثير اليمامة بيروت ط الثالثة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م

ـ صحيح ابن حبان تح/ شعيب الأرنؤوط مط مؤسسة النشر بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ _ ١٩٩٣م.

ـ صحيح ابن خزيمة تح/د مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠هـ _ ١٩٧٠م .

ـ صحيح مسلم تح محمد فؤاد عبد الباقي مط دار إحياء التراث العربي بيروت من دون .

ـ عمدة القاري دار إحياء التراث العربي بيروت من دون.

ـ الفروق اللغوية

ـ في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب ط بيروت

ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا لسعدى حبيب مط دار الفكر دمشق سورية ط الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٨م .

ـ القاموس المحيط للفيروزابادي ـ مؤسسة الرسالة بيروت من دون .

ـ الكشاف تح/محمد الصادق قمحاوي ط دار المعارف بيروت – لبنان من دون .

ـ الكشف والبيان لأبي إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري تح / الشيخ ابن عاشور توثيق أ/ نظير الساعدي ط دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان الأولى ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢م .

ـ الكليات لأبي البقاء الكفوي تح/ عدنان درويش ، ومحمد المصري ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م

ـ متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير (ماجستير) للكاتب نفسه مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.

ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية تح/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي مكتبة ابن تيمية ط الثانية من دون .

ـ المحيط في اللغة لأحمد بن إدريس الطلقاني تح / الشيخ محمود حسن آل ياسين ، مط عالم الكتب بيروت ـ لبنان ط الأولى ١٤١٤هـ _ ١٩٩٤م .

ـ مختار الصحاح للرازي تح / محمود خاطر مط لبنان ـ بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م .

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة القاهرة من دون .

ـ مسند البزار تح/د محفوظ الرحمن زين الله مط مؤسسة علوم القرآن بيروت، والمدينة ط الأولى ١٩٠٤هـ .

ـ المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم الأصبهاني تح /محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي مط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م .

ـ مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور للبقاعي تح د/ عبد السميع محمد أحمد حسنين – مكتبة المعارف – الرياض ط الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.

ـ المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري تح/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية

ـ مصنف ابن أبي شيبة تح /كمال يوسف الحوت مكتبة الرشيد الرياض ط الأولى ١٤٠٩هـ .

.ـ المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجارتح / مجمع اللغة العربية ـ دار الدعوة .

ـ مفاتيح الغيب دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م ، وطبع دار الكتب العلمية طهران ط الثانية من دون .

ـ المفردات في غريب القرآن للراغب تح/ محمد سيد كيلاني مط دار المعرفة لبنان من دون

ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في متشابه النظم من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي تح/سعيد الفلاح ط دار الغرب الإسلامي من دون .

ـ من بلاغة القرآن أحمد أحمد بدوي ط الثانية مط نهضة مصر.

ـ النظم القرآني في سورة الرعد / محمد بن سعد الدبل مط دار النصر للطباعة الإسلامية شبرا – مصر من دون.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي تح/ عبدالرازق غالب المهدي ط دار الكتب العلمية.

ـ لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت ط الأولى من دون .